

على سالم

حكايتي مع إيڤا



حكايتي مع ايفا

علي سالم

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ-١٩٩٣م

مطابع ستار برس للطباعة والنشر
٤٠ ش المحولات الكهربائية - محطة المطبعة
الهرم ت : ٨٦٤١٥١



٤٥-البطل أحمد عبد العزيز - المهندسين - القاهرة

رسم المؤلف : الفنان عفت حسنى

التصميم والإخراج وفصل الألوان : كامل جرافيك

مقدمــة

كنت قـد قـررت أن أحـتـفظ بتـفـاصـيـل عـلاقـتـى وزواجى من السـيدة إيقـا ترامب سـرا إلى الأبد، غير أن التفـاصـيل الكاذبة التى تنشـرها صـحـافة الغرب الآن بهـدف الإثارة فـقط وتشـويه سمعتى ، جعلت من المحتم أن أخرج عن صمتي وخاصـة بعد أن وصلت المسـألة إلى حد شنيع وهـو الادعاء بأننى كنت السبب فى إفسـاد العـلاقة بينها وبين زوجـهـا السابق المليونير ترامب الذى أشهد بأنه رجل فاضل لم يتحدث عنى أو عنها بسوء قط.

ولكن قبل الخوض فى التفاصيل لابد أن أعطي القارئ فكرة عن السيدة "إيقا" هى امريكية حسناء من أصل مجرى، تبدو فى الخامسة والعشرين من عمرها بينما عمرها الحقيقى هو ثلاثة وأربعون عاما. كانت زوجة للسيد/ جون ترامب المليونير الأمريكى المعروف واستحالت الحياة بينهما لأسباب لا داعى للخوص فيها الآن لأنها لا تتـعلق بى من بعـيـد أو قريب، أقـول ذلك ردا على الكاتب الصـحـفى المحترم الذى ادعى أننى كنت مكلفا بالتوسط بينهـمـا للصلح وأننى بدلا من ذلك أفسـدت العـلاقـة بينهـمـا واستغللت ذلك لصـالحى، الحقيقة والواقع أن السيدة إيقا كانت قد حصلت على الطلاق بالفعل بالإضافة لحصـولها من مطلقها على نصف ثروته طبـقـا للقـانون الأمـريكى، وهـو مبلغ يزيد على ثلاثة مليـارات دولار. مـرة أخـرى أقـول بكل وضـوح، إن السـيـدة إيقـا كانت قد حصلت بالفعل على الطلاق عندما شاهدتها للمرة الأولى فى حياتى، كان ذلك في قصرها فى لوس أنجلوس، يشهد بصحة

هذه الواقعة رجل الأعمال المصرى المعروف المهندس يحيى زيدان، فهو الذى دعانى لحضور حفل صغير أقامته السيدة، أو أقامه لها أصدقاؤها المقربون منها احتفالا بالطلاق أو كما قال لى صديقى: للتسرية ولإخراجها من حالة الاكتئاب التى تمر بها.. وقد تكون الفرصة متاحة لفاتحتها لعمل مشاريع استثمارية، تعود بالخير على مصر، حيث كان لها مشاريع استثمارية فى العالم كله.

على سالم

البداية

لم يكن لدى ما أفعله فى تلك الليلة فوافقت شاكرا على الدعوة وأنا أتوقع أن أرى سيدة أعمال مليونيرة ثقيلة الظل من ذلك النوع الذى لا يتكلم إلا بالأرقام. لم أكن أتصور أن تلك الليلة ستكون نقطة تحول هامة وخطيرة فى حياتى.

فى حديقة القصر الجميلة الواسعة استقبلتنا السيدة إيڤا، هل تعرف أودرى هيبورن فى شبابها؟ أستطيع أن أقول أكثر من ذلك، تصور إنك جئت بالسيدة اليزابيث تايلور منذ أربعين عاما وأضفت إليها سوزان هيوارد والسيدة سعاد حسنى ونجلاء فتحى ويسرا والمطربة لطيفة وصابرين وفاطمة عيد ووضعت ذلك كله فى الخلاط فى ماء الورد ثم أضفت إلى ذلك كل عسل النحل والقشدة الموجودة على الأرض، ستكون النتيجة هى السيدة "إيڤا ترامب" هى شجرة تفاح زكية الرائحة تثمر الدولارات، كانت لها ابتسامة تلخص سحر المجر التى انحدر أجدادها منها، أما رشاقتها وهى تتنقل بين الموائد مرحبة بالمدعوين فلا توجد فى قواميس اللغة كلمات قادرة بصدق على وصفها.

قدمنى لها صديقى يحيى قائلا: على سالم كاتب مسرحى من مصر.

فصاحت فرحة: أوه .. مصر.. الأهرامات.. أبوالهول..

السادات.. نجيب محفوظ.. أهلا.. أهلا..

عندما تتكلم إيفا فهى ترغم من بحضرتها على الصمت، ليس لشخصيتها الآسرة ولكن للموسيقى المنبعثة من صوتها. انشغلنا بالطعام والشراب والحديث عن الأزمات فى الشرق الأوسط لمدة دقائق وفجأة وجدتها تقترب منى وتحدثنى بود: كيف حال صديقى المصرى؟.. هل كل شئ على مايرام؟

أجبتها بأدب: سيدتى.. إننى أشكر لك حفاوتك، نعم ياسيدتى كل شئ على مايرام بل على أكثر مما يرام، كما أشكر لك استخدام تعبير صديقى المصرى.. هذه هى المرة الأولى فى حياتى التى أكون فيها صديقا لمليونيرة بهذا الحسن والجمال.

ضحكت فى مرح سألتنى: هل ترانى الآن مليونيرة أم ست بيت ممتازة.

- ممتازة ليست كلمة كافية يا سيدتى ولا تؤدى المعنى المطلوب.. إننى أحمد الله على شئ واحد هو أننى لم أكن زوجا لك.

ردت فى انزعاج: لماذا؟

فى تلك اللحظة ناداها أحد المدعوين: إيفا.

فصاحت: حاضر ياداني.

كان الرجل الذى نادها هو دانى كويل نائب الرئيس الأمريكى. قفزت مبتعدة فى رشاقة كالعصفور بعد أن همست فى أذنى:

سأعود لأسمع الإجابة.

سألني صديقي يحيى في صوت خافت: ماذا قلت لها يا مجنون؟ احترس.. لابد أن تكون فى غاية التهذيب عندما تتكلم مع سيدة من هذا النوع.

عادت إيڤا بعد دقائق، سحبت مقعدا خفيفا وجلست بجوارى، أحسست بنظرات الجميع مصوبة نحونا من تحت لتحت بينما هم يتظاهرون بالحديث مع بعضهم البعض، قالت: تقول إنك سعيد لأنك لم تكن زوجا لى..

-لا يا سيدتى، لم أقل أنا سعيد لذلك، لقد قلت إننى أحمد الله على أننى لم أكن زوجا لك.. لم أكن لأفرط فيك يا سيدتى لأى سبب من الأسباب حتى لو صدر بذلك قرار من الكونجرس، حتى لو أصدر مجلس الأمن قرارا بذلك، حتى لو سارت المظاهرات فى شوارع أمريكا تطالبنى بالتخلى عنك.. إن الشخص الذى يوافق على طلاقك منه يهين البشرية فى أجمل إنجازاتها.

قالت: لنفرض أننى حولت حياتك لجحيم.

أجبت: ما أعذبه من جحيم، الجحيم على يديك أفضل من النعيم على يد حواء أخرى.

عادت تقول: لنفرض أننى ضايقتك وأهنتك بين أصدقائك.

أجبت ببساطة: كنت سأقتلك وأقتل نفسى.. لسبب بسيط، أننى أتصور أى شئ ماعدا أن أتركك لرجل آخر.

قالت: لم أترك زوجى من أجل رجل آخر.

فى هذه اللحظة ارتفعت أصواتنا وأصبح حديثنا مسموعا لكل المدعوين، ولم يهمنى ذلك استمرت المبارزة الكلامية بيننا وكأننا فى مناظرة سياسية، كنا نتحاور جادين تماما.

- أعرف يا سيدتى أنك لم تتركيه من أجل رجل آخر.. ولكن من المؤكد سيظهر فى حياتك رجل آخر.

صمتت لحظة وقالت: ماذا تفعل هنا فى أمريكا؟

- لا شئ يا سيدتى، حضرت فى صحبة صديقى يحيى زيدان لحضور حفل زفاف إبنه فى شيكاغو وسنعود إلى القاهرة بعد غد بإذن الله.

- بهذه السرعة؟.. إن لدى مشروعا لعمل مسارح متنقلة فى الشرق الأوسط وأريد أن أستشيرك فى عدة أمور.. هل تتفضل وتؤجل سفرك أسبوعا..

نظرت مستنجدا بيحيى زيدان فقال بسرعة: طبعا طبعا.. سأترك لك تذكرة السفر.

فقالت: تذكرة إيه.. سيعود إلى القاهرة على طائرتى الخاصة.

نظر لى يحيى نظرة مرحة يشوبها حقد خفيف بما معناه: أيوه ياعم.

فى تلك اللحظة شعرت بنوع غريب من الرعب، رعب لذيذ، هذه ليست سيدة أعمال، هذه أنثى ساحرة قررت الاستيلاء علّى.

سألتني: كم يبلغ أجرك كمستشار في الأسبوع؟

– بصراحة يا سيدتي أنا أقدم الاستشارات مجانا.. في السياسة وأمور الحكم والفن والصحافة وأنواع السمك وكيفية طهوها.

ضحكت طويلا وقالت: ياصديقي المصري.. إن كل كلمة لها معنى، لها ثمن. اقبض أجرك عن أفكارك أو وفرها لنفسك.

اقتربت مني أكثر وقالت هامسة: غدا.. في الحادية عشرة صباحا، ستجد سائقا في انتظارك أمام الأوتيل.

الكولونيا

أثناء عودتنا إلى الأوتيل كنت مازلت أفكر فيما قالته لى "إيڤا" وفى كافتيريا الفندق جلست مع صديقى نناقش ماحدث. قلت له: هل تصدق ما قالته السيدة من أنها بالفعل فى حاجة لمستشار مسرحى؟.. وأن لديها مشروعا لعمل مسارح متنقلة فى الشرق الأوسط.

أجابنى: فى هذه الظروف لا يستطيع المرء أن يجزم بشئ، على الأرجح هى كأى رجل أعمال ناجح عندما عرفت أنك من أهل المسرح المصرى، فكرت أن تستعين بك فى مشروع جديد.. هذا هو الاحتمال الأول، أما الاحتمال الثانى وهذا ما أعتقده شخصيا هو أنها أحبتك.

- نعم؟! أحبتنى؟! ماذا فىّ يغرى امرأة من هذا النوع بالحب؟ لا تنس أن عمرها ٤٣ عاما وأنا فى السادسة والخمسين يا عزيزى.. وليست لي ملامح روبرت تايلور أو حتى جاك بالانس.

- إن كيوبيد يطلق سهامه وهو مغمض العينين، ولم نعرف من قبل أنه يطلع على شهادات ميلاد البشر قبل أن يطلق سهامه.

- عزيزى يحيى.. أنت تسخر منى.

فقال بجد: ياصديقى لست أسخر منك.. فمن الخطأ السخرية من كاتب ساخر.. لقد ظللت أرقبها طوال السهرة فوجدت أنها لم

ترفع عينها عنك.. فى الغالب هناك شئ فيك شد انتباهـها.

- نعم، أعرفه، صلعتى.

انفجرنا ضاحكين غير أنه عاد يقول: يجب أن تكون حذرا ولطيفا فى كل تعاملاتك معها، هى ليست مواطنة أمريكية عادية، إذا قلت لها كلمة واحدة تغضبها فقد ينعكس ذلك على سياسة الحكومة الأمريكية تجاه المنطقة، أريد منك قبل ان تغضبها لسبب من الاسباب أن تفكر فى شعوب المنطقة.

رددت عليه بهدوء: لست فى حاجة لأن أخوض مغامرات من هذا النوع، غدا ستأتى سيارتها فى الحادية عشرة صباحا إلى الفندق فلا تجدنى.. سأغادر الأوتيل فى الصباح الباكر.

-آه.. أنت إذن من هذا الصنف من البشر الذين يهربون من الحظ الطيب عندما يطرق أبوابهم.. لا تخشَ شيئا فليس لديك شئ لتفقده.

- على الأقل لدى سمعتى.

- سمعتك؟ وهل هى امرأة من عرض الطريق؟ هل طلبت منك شيئا شائنا؟ أم لعلك من ذلك النوع الذى يرفض النعمة بقدميه.. اسمع، فى الحادية عشرة تماما ستكون جاهزا أمام باب الفندق، ولا تضع من تلك الكولونيا الرخيصة التى تستخدمها، سأعطيك كولونيا أخرى.

• • •

فى التاسعة صباحا استيقظت على رنين التليفون، كان المتكلم هو إيڤا قالت: لا تتناول طعام الإفطار.. ولا ترتبط بمواعيد هذا اليوم.

• ماذا تقصدين بكلمة اليوم؟.. تقصدين الا أرتبط بمواعيد نهارا.

- اليوم كلمة واضحة فى كل اللغات، اليوم هو الليل والنهار.. باى باى.

لم تكن هناك فرصة لمناقشتها، أخذت حماما وارتديت ملابسى على عجل واتصلت بيحيى فى غرفته وأيقظته من النوم: أنا آسف لإيقاظك مبكرا. ولكنى أريد أن أحدثك فى أمر هام.

فقال: نتقابل بعد نصف ساعة فى الكافتيريا.

فى الكافتيريا أحضر يحيى إفطاره من بوفيه الافطار المفتوح واكتفيت أنا بالقهوة ثم دخلت فى موضوعى مباشرة: اسمع يا صديقى أنا مفقود حتى صباح الغد، هذا ما أبلغتني به " إيڤا" منذ قليل بالتليفون.. سأعطيك أرقام التليفونات الخاصة بالدكتور عبدالعزيز حمودة ملحقنا الثقافى فى أمريكا وأرقام تليفونات سعادة السفير عبد الرؤوف الريدى، إذا لم أعد حتى الساعة السابعة صباحا اتصل بهم على الفور وابلغهم بكل ماحدث.

– أنت تريد عمل زيطة كبيرة في موضوع بسيط للغاية.

– يا عزيزى يحيى.. إن الغرب لا يتورع عن فعل شئ فى معركته مع الشرق، لنكن صرحاء، أنا مبدع مصرى، يعنى واحد

من عوامل الاستنارة فى المنطقة، وإذا تخلصوا منى فهم بذلك يحرمون المنطقة من أحد عناصر تقدمها.

- حسنا.. أوافق على هذا التحليل، لنفرض أنهم تخلصوا منك "ليستفردوا" بالمنطقة، ماذا ستفعل من أجلك سفارتنا فى واشنطن؟

- ترفع قضية، وتطلب تعويضا كبيرا لأسرتى ولمصر.. على الأقل يتنازلون عن جزء من الديون.

- حاضر، إذا لم تعد حتى السابعة من صباح الغد سأتصل بالسفارة، واتصل أيضا بشخص هام جدا هو الدكتور بطرس غالي.. صدقنى إذا حدث لك مكروه، سأقابل الدكتور بطرس على الفور وأعدك أنه سيعقد الجمعية العامة لأمم المتحدة فى جلسة طارئة لاستصدار القرار المناسب.

- جميل.. ولكن أرجو أن تتنبه إلى أن القرار لابد أن يستند للقسم السابع لكى يكون ملزما.

- حاضر كن مطمئنا ولا تشغل بالك.

فى الحادية عشرة بالضبط جاءت سيارة "لنكولن" سوداء طويلة، نزل منها السائق وفتح لى الباب الخلفى وهو ينحنى فى أدب. غصت فى المقعد الخلفى الوثير بينما السيارة تقطع شوارع لوس انجلوس فى طريقها لقصر إيفا.

• • •

حول حمام السباحة كانت إيڤا تجلس فى انتظارى وأمامها مائدة الإفطار وعدة حراس خصوصيين يحملون المدافع الرشاشة الصغيرة وقد تناثروا عن بعد في الحديقة.

صافحتنى بود ثم صرخت فجأة وقد انقلب وجهها: ما هذه الكولونيا التى تضعها، أين الكولونيا التى كنت تضعها بالأمس؟

– تقصدين الكولونيا المصرية؟.. لقد أتحفنى صديقى بنوع آخر.

صرخت: رائحتها قاتلة.. إن هذه الكولونيا هى سبب طلاقى من زوجى.. كيف تطيق هذا الزفت؟

قالت ذلك وصرخت بصوت عال موجهة كلامها لرجال الحرس: خذوه إلى الحمام، استدعوا واحدا من المتخصصين فى إزالة الروائح، واتصلوا بمدير الفندق الذى ينزل فيه، أريده أن ينزل بنفسه ويحضر الكولونيا المصرية من غرفته، وخذوا مقاسه واطلبوا له ملابس جديدة داخلية وخارجية.. أما تلك الملابس التى يرتديها فاحرقوها فورا.

لم أستطع الاحتجاج أو المقاومة، فقد انقض علّى خمسة أشخاص كل منهم بحجم الحصان، وعندما ابتعدوا بى فى طريقنا إلى داخل القصر التفت خلفي فوجدتها تضحك بمرح.

الجائزة

اقتادتنى مجموعة الحرس إلى الحمام فى شبه مظاهرة حيث سلمونى إلى السيدة الفلبينية المسئولة عن حمامات القصر كان اسمها مسز "ليفا" عرفت فيما بعد أنها حاصلة على درجة الدكتوراه فى التدليك من جامعة " أه .. يانى" اليابانية.

استسلمت لعشرات الأيدى الرقيقة والغليظة وهى تنقلنى من مغطس إلى مغطس ومن بانيو إلى بانيو ومن غرفة بخار خشبية إلى غرفة بخار زجاجية.. فى الغالب خسرت من وزنى حوالى خمسة كيلو جرامات فى هذا الحمام الاضطرارى.

أخذونى بعد ذلك ملفوفا فى بشكير قطن كبير إلى قاعة فسيحة يسمونها قاعة الاسترخاء حيث بدأت مرحلة التدليك النهائى. بعد لحظات فوجئت بمائدة الإفطار ذات العجلات تدخل القاعة، بعدها جاءت إيفا مرتدية بشكيرا من القطن، قالت بصوتها ذى الرنين العذب: ما أخبارك؟

أجبتها وأنا أتصنع الغضب: سيدتى، صحيح أنا أنتمى للعالم الثالث ولكنى من بلد ديموقراطى ولذلك من حقى أن أحتج على هذا الحمام الإجبارى الذى لم يؤخذ رأيى فيه.. هذا سلوك يفتقر إلى الديموقراطية..

ضحكت فى صخب وقالت: كان لابد من إزالة الكولونيا

الكريهة العالقة بجسمك.

قالت ذلك ثم أخذت تتشمم المكان والهواء المحيط بي: الحمد لله.. لقد زالت تلك الرائحة اللعينة.. ذكرتني تلك الكولونيا بأيامي التعسة مع زوجي السابق.

– لست أحتج على ذلك، أنا أحتج على عدم أخذ رأيي في مسألة هي خاصة بي تماما وحق من حقوقي الفردية.

• في الديموقرواطية، لا يجب أن نأخذ رأى البشر عندما نقوم بتنظيفهم، فعدد كبير من البشر يرفضون النظافة.

– هذه أفكار فاشية يا سيدتي.. حتى لو كان الناس يعشقون القذارة فيجب أن نتركهم يتمتعون بها..

• دعك من الحديث في السياسة.. اقترب وتناول طعام الإفطار.

أصابني الحمام بجوع شديد فبدأت آكل بنهم. شئ واحد كان يضايقني، عدة فتيات آسيويات بملامح صارمة وعضلات نافرة يقفن في أركان القاعة. كن من الحرس النسائي.. عرفت فيما بعد أن كل واحدة منهن تستطيع أن تفلق رأس رجل بكفها، أو تقتله برفسه من ساقها.

قالت: منذ دقائق وصلني عنك تقرير من القاهرة ومن عدة عواصم أخرى، ولكن مازالت تنقصني بعض المعلومات.. موقفك المالي مثلا.

– موقفي المالي ليس أسوأ من موقف الخزانة الأمريكية.. ألا يوجد عندكم عجز في الميزانية؟ أنا أيضا لدى عجز دائم في

ميزانيتي.. ولكن لماذا هذا السؤال من فضلك؟

صمتت لحظات ثم قالت بهدوء: أريد أن أتزوجك.

شعرت بجسمي ينتفض، من المؤكد أنها كانت تمزح. ضحكت بشدة ولكني فشلت في أن أستلقي على قفاي من شدة الضحك فقد كانت الكنبة لها مسند: سيدتي.. أنت خفيفة الدم جدا .

– ماذا يضحكك فيما قلت؟

• لا شئ يا سيدتي.. هذا أمر مستحيل.. أين أنا وأين أنت؟.. أنت تنامين فوق سحابة من الدولارات وأنا أنام على مرتبة من القش.

قالت ببرود: أنا لم أتعود أن يضحك أحد على ما أقول.

– أما أنا يا سيدتي فقد تعودت أن يضحك الجميع على ما أقول.. بل أن أكل عيشي يتوقف على جعل الناس يضحكون.

• لنعد للموضوع.

– تحت أمرك.

• أريد أن أتزوجك.

– حسنا لنجعل الجملة أكثر رقة وتهذيبا، تقصدين أنك تريدين أن أتزوج منك.

• النتيجة واحدة.

– حسنا لنختصر النقاش يا سيدتي.. أنا متزوج ولدي ثلاث فتيات.

• هل أنت متزوج من أربع زوجات؟

– لا واحدة فقط..

• وهل ستظل إلى الأبد متزوجا من واحدة فقط.. الا تفكر في التغيير وخاصة بعد أن رأيتني؟

قالت ذلك وهى تنظر لى نظرة زلزلت كيانى، شعرت بنفسى ضعيفا أمام منطقها وسحرها، فلجأت للنفاق كوسيلة للهروب: سيدتى.. الرجل الذى يرفض الزواج منك هو وغد شرير، جاهل، لا يقدر الجمال ويرفض النعمة التى هبطت عليه من السماء، ولكن هناك عوامل أخرى يا سيدتى تجعلنى– بكل حزن وأسف– أرفض الزواج منك.

– هل تخشى زوجتك؟

• كل الرجال يخشون زوجاتهم. ولكن ذلك ليس السبب..

– ما هو السبب إذن؟

• ظروفى المادية، مهرك غال يا سيدتي.. عرفت من الصحف أنك تطلبين ٣٠ مليون دولار.. أنا عاجز عن دفع هذا المبلغ.. وأرفض أن أتزوج مجانا ففى بلادى يعتبر هذا نقصا فى رجولة الرجل.

ـ إدفع الربع والباقي على سنة وربع.

• أنا في حاجة لخمسة الاف عام من العمل ليل نهار لتسديد خمس هذا المبلغ.

ـ ادفع ما معك الآن.. وسنتفاهم في الجزء الباقي.

• صدقيني أنا مفلس تماماً..

- حتى ولا ألف دولار؟

• صدقيني أنا مفلس تماماً..

- ولا حتى مائة دولار؟

• ولا حتى مائة دولار.

- أفهم من ذلك أنه لا مانع لديك من الزواج مني اذا توافر لك المال؟

• نعم، بالتأكيد.. حتى لو كان معي عشرة الاف دولار فقط. سآتي بها وأضعها أمامك ثم أقول لك.. إيفا أيتها القمر المنير.. اسمحي لي أن أتقدم للزواج منك وهذا هو مقدم الصداق..

في تلك اللحظة رن جرس التليفون، تناولت إيفا السماعة ثم قالت: نعم.. هو موجود عندي.. أعطتني السماعة: مكالمة لك..

- ألو..

• هل أنت السيد فلان الكاتب المسرحي المصري؟

- نعم ياسيدي..

• أنا مندوب جمعية مساندة ضحايا الموهبة في العالم الثالث.. مبروك.. لقد حصلت على جائزة الجمعية لهذا العام، وقدرها ربع مليون دولار.. سيصلك المبلغ نقداً بعد نصف ساعة..

وبعد أقل من نصف ساعة، جاء الرجل بالمبلغ، وقالت إيفا: سأضعه في خزانة القصر الى أن تضعه في حسابك.. الحمد لله.. أعتقد أن ظروفك الآن تسمح بالزواج..

- طبعاً.. طبعاً.. ولكن..

• ولكن ماذا؟

ـ لا شيء ياسيدتي.. نحن في مصر عادة نقول، طبعاً طبعاً.. ولكن.. عندما لا نجد ما نقوله، أو عندما نعجز عن تكوين رأي صحيح،.. أو تهبط علينا معجزة من السماء مثل تلك التي حدثت الآن.

ابتسمت إيڤا واقتربت مني.

الدولارات

بعد نصف ساعة بالضبط جاء أحد الأشخاص ومعه حقيبة كبيرة، قدم نفسه على أنه السيد"بيتر وليامز" مدير حسابات الجمعية، فتح الحقيبة فظهرت رزم الدولارات. وقعت له على ايصال بالاستلام ثم خرج على الفور قالت إيفا : يالى من محظوظة.. الآن لا توجد مشكلة مادية .. سأعتبر هذا المبلغ القسط الأول من المهر.. وأنا أرحب بأن تكتب شيكات ببقية المبلغ.. مارأيك؟

الواقع انها لم تنتظر رأيى فقد أشارت إلى إحدى الفتيات من السكرتارية فجاءت الفتاة على الفور وأخذت الدولارات لتضعها فى خزينة القصر.

شعرت بنفسى محاصرا، قلت لها: بقيت مشكلة زوجتى.

- مالها زوجتك؟

● أليس من حقها على الأقل أن أخطرها.. إن القانون فى بلادى يحتم على الرجل أن يخطر زوجته إذا تزوج من أخرى.

انتفضت إيفا وهى تصرخ بغضب: نعم؟ أخرى؟ تسمينى أخرى؟ هل أنا مجرد أخرى؟ أنا إيفا ترامب هناك عشرة آلاف رجل أكثر منك وسامة وشبابا على استعداد للموت فى سبيل الحصول منى على نظرة.. وتسمينى أخرى؟

قلت لها معتذرا وقد بدأت أشعر بالرعب: لست أقصد يا سيدتى.. ولكنك تعرفين ضعفى فى اللغة الإنجليزية.. إننى أقصد أن القانون يحتم على الزوج أن يخطر زوجته فى حالة زواجه مرة ثانية وخاصة عندما تكون زوجته الثانية جميلة جدا .. وغنية جدا.

طابت نفسها بهذا التفسير، ثم أمسكت بالتليفون وقالت: اتفضل .. بلّغها.

- بالتليفون؟ هل تتصورين أنه يوجد رجل على وجه الأرض لديه الشجاعة لأن يقول لزوجته فى التليفون، آلو.. إزيك؟ أخبارك إيه؟.. وحشتينى، بأقول إيه، كنت عاوز أبلغك إنى حاتجوز واحدة ثانية.. رأيك إيه؟.. موافقة؟.. موافقة طبعا يا حبيبى.

- كيف ستبلغها إذن؟

- لابد من الذهاب إلى القاهرة ثم التفكير بعمق فى مدخل لمفاتحتها فى الأمر..

- لنفرض أنها رفضت..؟

- لن أترك لها فرصة للرفض.

-لنفرض أنها أصرت على الرفض، ماذا ستفعل؟

- إذا رفضت سأكون أتعس مخلوق على وجه الأرض، وسأعتذر لك بكل حزن وأسى.. فانا بصراحة لا أستطيع الإقدام على هذه الخطوة بغير موافقة زوجتى وبناتى.. ولكن اسمحى لى يا سيدتى أن أطلب منك تفسيرا لما حدث.. هل هو الحب من أول نظرة؟ أنا لا أصدق ذلك فلست أعتقد أننى أتمتع بصفات خاصة تجعلك

تختارينني من دون البشر جميعا.

تنهدت إيڤا وقالت: هل تؤمن بنظرية تقمص الأرواح؟

- تقصدين أن روح الإنسان تخرج من جسده لكي تسكن فيما بعد جسد إنسان آخر؟

• نعم.

- لا طبعا.. لست أصدق ذلك.

• أما أنا فأومن بذلك.. وأعتقد أن روح إنسانة أخرى قد تقمصتني..

- روح مين؟

• ألا تلاحظ شبها بيني وبين إنسانة أخرى معروفة؟

نظرت إليها بإمعان، فتنبهت للمرة الأولى إلى انها تشبه إلى أبعد الحدود المرحومة مارلين مونرو، نفس الجسم، نفس الملامح، نفس الصوت، كيف لم أتنبه لذلك من قبل؟

• نعم يا سيدتي.. أنت تشبهين مارلين مونرو، الفرق الوحيد بينك وبينها إنك أكثر جمالا.

- هذا هو ما أعتقده، إن روح مارلين مونرو تقمصتني، وأنت تعلم بالطبع أنها تزوجت من الكاتب المسرحي" آرثر ميللر" لذلك عندما رأيتك عرفت أن قدري هو أن أتزوجك.

قلت محتجا: ولكني لا أشبه السيد ميللر مع احترامي لعبقريته، كما أن مسرحي مختلف تماما عن مسرحه، مسرحي

أكثر بهجة ورقة.. ميللر يتميز عنى فقط بأنه أكثر فلوسا وبأنه تزوج من مارلين مونرو.

- أنت أيضا ستكون أكثر فلوسا وستتزوج من مارلين مونرو..

• كيف سأكون أكثر فلوسا يا سيدتى..؟

- بالإضافة إلى عملك كزوج لى ستعمل مستشارا عندى بمرتب جيد.. مليون دولار كويس؟

صرخت فى دهشة وفزع: تقولين مليون دولار يا سيدتى؟

- حسنا لنجعلها اثنين مليون دولار.

• اثنين مليون دولار شهريا يا سيدتى..؟

- نعم.. وأنا آسفة، ميزانيتى لا تسمح بأن ادفع لك أكثر من ذلك لأننى أمر بأزمة فى السيولة..

• هذا بالطبع غير الحوافز والمكافآت والأجر الإضافى وبدل طبيعة العمل..

- لأ.. هذا هو المبلغ شاملا كل شئ، صافيا بعد خصم الضرائب.

فكرت قليلا فى المبلغ وأنا أحاول إخفاء فرحتى ثم قلت لها: بصراحة كنت أطمع فى أكثر من ذلك.. ولكن بالطبع لابد أن أحترم الظروف المادية التى تمرين بها الآن.

• والآن.. هل تعتقد أن زوجتك ستوافق؟

– عندما ستحسب العملة الصعبة التى ستدخل مصر عن طريقي سوف يكون من قبيل الخيانة العظمى ألا توافق.. وقد ترى فى ذلك بداية مباركة لحل مشاكل مصر الاقتصادية، سأقنعها بأن هناك الآن شوطة فى أمريكا بين المليونيرات الأمريكان للزواج من أدباء مصريين.. تصورى لو أن ألف مثقف مصرى تزوجوا من ألف مليونيرة أمريكية.. بالتأكيد سينصلح حال المنطقة كلها.

• • •

فى حديقة القصر كانت توجد طائرة هيلوكوبتر أنيقة، ركبنا الطائرة، قادتها "إيڤا" بنفسها ، ذهبنا إلى بيتها الريفى فى مكان مافى فلوريدا. لا توجد قوة على الأرض ترغمنى على أن أذكر تفاصيل ماحدث بيننا، سأترك ذلك للمؤرخين ولخيال القارئ .

طلبت منها أن تعيدنى إلى الأوتيل قبل السابعة صباحا أعادتنى بالطائرة التى هبطت على سطح الأوتيل، فى الكافيتريا كان صديقى يحيى زيدان فى انتظارى يتناول قهوة الصباح، حكيت له ماحدث فصمت قليلا وكأنه يفكر فيما قلته.. بعد ذلك قال: لا أصدق حكاية تقمص الأرواح هذه، كما لا أصدق حكاية الحب من أول نظرة أو حتى من آخر نظرة، فأصحاب المليارات لا قلوب لهم.. هذه السيدة ستدفع لك مليونى دولار فى الشهر.. فى الغالب لمدة شهر واحد أو شهرين ثم تطلقك..

– لماذا؟

• على الأرجح لديها مشروع استثمارى فى مصر، هذه الزيجة ستضمن لها حملة دعاية، لها ولمشروعها هائلة الحجم فى مصر والمنطقة العربية والعالم كله.. إذا دفعت مليونا.. فلابد أنها تريد أن تكسب مقابله مائة مليون. كل الجرائد وكل المجلات وكل البشر في كل البيوت والمقاهى سيتكلمون عن " إيفا ترامب" التى تزوجت من الكاتب المسرحي المصرى الفقير، وبهذه الطريقة، يصبح إسمها على كل لسان.. وبذلك تدفع مليونى دولار فقط فى حملة دعاية وإعلان كانت ستكلفها عشرة ملايين دولار بالطرق العادية.. وعندما يحصل الطلاق بينكما، ستفوز أيضا بنفس الحملة الإعلانية مجانا..

أصارحك بأننى شعرت بالغضب من طريقة صديقى فى التفكير، فقد استبعد تماما أن تكون قد أحبتنى لله فى لله.. أو لعله بدأ يشعر بالغيرة.. لن أحكى له عن أى شئ يحدث بيننا بعد ذلك.

استأذنت منه وصعدت إلى غرفتي ونمت نوما عميقا..

فخر، فخامة، فخفخة

لا داعي لخداع النفس والكذب على القراء. أنا أحب الحياة الناعمة الفخمة وأتمنى أن أحياها طالما أتت عن طريق شريف. ثم أن الشرف نفسه أمر نسبي. إن لي أصدقاء يعتقدون أن أكل الكباب فيه خيانة للمثل العليا. ولكن من المؤكد أن هذه السيدة لا تطلب منى خيانة الوطن ولا القيام بعمل وضيع. ولقد طلبت منى شيئا منطقيا وحلالا يقبله العرف وترحب به التقاليد، طلبت أن تتزوج منى.. كما طلبت منى أن أعمل مستشارا لها ولمشاريعها فى الشرق الأوسط بوصفى واحدا من الخبراء الدارسين للبشر فى الشرق الأوسط، قد تقولون ولكن المبلغ الذى عرضته عليك كان يجب أن يثير الشك فى قلبك.. لماذا؟ هل يجب أن نتناول القروش لكى تطمئن قلوبنا؟ هل تتصور مرتبا شهريا لرجل فى مثل خبرتى ومواهبى يقل عن مليونين من الدولارات شهريا؟

ثلاثون عاما وأنا أعتصر عقلى وقلبى ووجدانى من أجل إمتاع المتفرجين والقراء فى المنطقة العربية والحصيلة صفر، أليس من الطبيعى- ومن العدل أيضا- أن يرسل لى الله سبحانه وتعالى فى هذه المرحلة من العمر من يعوضنى عما فات، أريد أن أحيا فى كسل لذيذ إلى أن أموت. يقول شارلى شابلن فى مذكراته التى ترجمها المرحوم صلاح حافظ: إن الفخامة تشعر الإنسان

بالفخر والكبرياء، وأنا أريد الاستمتاع بدوام الإحساس بالفخر والكبرياء الأمر الذئ لن يتحقق إلا بالفخامة والحياة الفخمة الفاخرة، ألا تلاحظ الصلة بين كلمة فخر وفاخر؟!

الضوء الخافت والحديث الهامس فى المطاعم الراقية الفخمة والجارسونات يرتدون ملابس اللوردات وينحنون لى فى أدب يسألوننى فى رقة : هل استمتعت بالشوربة؟ متعك الله بالكافيار.

السائق فى ملابسه المزركشة، وهو ينحنى فاتحا لى باب السيارة الخلفى، بوابة القصر الكبيرة وهى تفتح إليكترونيا، ثم تقطع السيارة عدة كيلو مترات داخل الحديقة التى تناثرت فيها الأضواء والحراس، ثم حديقة الحيوان الخاصة التى تمرح فيها الغزلان.

واستيقظ من النوم على صوت الجرس الفضى المعلق على عربة الإفطار الأنيقة تدفعها الخادمة الفلبينية وتوقفها بجوار السرير بالضبط، مع رشفات الشاى، قراءة سريعة لأسعار البورصة فى العالم، أسعد لأننى ربحت عشرة ملايين هنا ثم أحزن لأننى خسرت ثلاثة ملايين هناك، وتدخل مديرة المنزل لتخبرنى أن الحمام جاهز، وفى الحمام أترك جسمى لمسئولى التدليك والتلييف، يالها من جملة ساحرة.. الحمام جاهز. سمعتها فى عشرات الأفلام دون أن أعرف معناها، هل هناك حمام غير جاهز؟.. مامعنى هذا " الجهزان" الذى يقصدونه.. أريد أن أجربه.

أريد أن أستلقى على رمال الشاطئ بين أشجار النخيل بينما إيڤا تدهن جسمى بالزيوت والعطور أو حتى بالسمن البلدى، أريد أن أستلقى فى استرخاء على سطح اليخت وأنا مستغرق فى القراءة. لن أتعب فى البحث عن كتبى، سأقول لسكرتيرى الخاص، أقصد لسكرتيرتى الخاصة: هاتى لى الكتاب الفلانى.

عند كذلك تحضره لى من تحت طقاطيق الأرض، وفى الكوخ الجبلى الذى يرقد بين الثلوج فى جبال الألب وبجوار المدفأة، وعلى صوت طقطقة الخشب المشتعل سأكتب، سأكتب كل ما أريده وكل مالا يريده الآخرون. سأقيم دارا للنشر تحمل اسمى، لن أنشر فيها كتبا جديدة، فمن النادر أن تعثر على كتاب جديد جيد، سأعيد نشر الكتب القديمة العظيمة وأبيعها بثمن حزمة فجل.. أريد للبشر أن يقرأوا، فجرالضمير للأستاذ "برستد" أريد أن أقدم ترجمة جديدة لهيرودوت فى مصر، أريد أن أقدم ترجمة بسيطة ومفهومة لسقراط وأفلاطون.

وحتى أعدائى إذا ظلوا على عدائهم لى، سأبلغ عنهم "المافيا" فتكسر عظامهم، كل ذلك سيتحقق عندما أتزوج من الحسناء "إيڤا ترامب".. أشكرك يارب، قادر على كل شئ.

ولن أعمل فى الصحافة، الصحافة هى التى ستعمل عندى، كل ماأريد أن أنشره سأنشره إعلانا مدفوع الأجر ولن يعرف أحد أنه إعلان فقد ساحت الحدود بين الإعلان والتحرير، سأتناول طعام الأفطار فى "لوس أنجلوس" والغداء فى لندن ثم تطق فى

مخى وأشتهى المكرونة الأسباكتى الجيدة فأخطف رجلى، أقصد أخطف طائرتى إلى روما.

بالطبع ستأتى على لحظات أشتهى فيها الطحال والبمبار والكرشة ولحمة الرأس ولكنى سأقاوم هذه الرغبة أو أرسل من يحضرها لى بالطائرة. الملابس الداخلية سأستعملها لمرة واحدة فقط كما كان يفعل المطرب القديم المرحوم صالح عبدالحى. سأدعو أصدقائى فى أعياد ميلادهم إلى اليخت ونقوم برحلة بحرية ومعنا نجوم السينما العربية والعالمية ماعدا ذوى الدم الثقيل، وفى نهاية الرحلة أعطى لكل منهم هدية مناسبة..

كل ذلك سيتحقق عندما أتزوج من "إيڤا" ولكن هل ستوافق زوجتى؟

توافق أو لا توافق، إذا كانت تحب لى الخير فستوافق حتما إذا أخذنا فى الاعتبار أن مدة صلاحيتى كزوج قد أنتهت تقريبا أو هى على وشك الانتهاء، وإذا لم توافق على أن أنعم بكل هذا النعيم فهذا معناه أنها تكره لى الخير وبذلك يحق لى أن أتجاهل الحصول على موافقتها.

كانت "إيڤا" قد أعطتنى عدة أرقام تليفونات سرية خاصة بها، فاتصلت بها وحددت معها موعدا ثم أخبرت صديقى يحيى بأننى سأبقى عدة أيام فى لوس أنجلوس أحاضر فيها عن المسرح المصرى وسأقابله فى القاهرة فور عودتى فطلب منى أن "آخد بالى من نفسى" يا للأصدقاء..؟! يحذروننا عندما يجدون أننا على

وشك دخول الجنة. أوصلته إلى المطار وعدت إلى الفندق، وجدت رسالة من " إيڤا" تخبرنى أن الهليوكوبتر الخاصة بها"٢٢ ملاكى لوس أنجلوس" ستهبط فى مطار الفندق فوق السطح بعد دقائق، صعدت إلى السطح، بعد لحظات كانت الطائرة تحوم حول الفندق، نزل منها الطيار وانحنى وهو يفتح لى الباب، طوال الطريق لم أتبادل كلمة واحدة مع الطيار، إن أمثالنا من أصحاب الملايين لا يجب أن يتبسطوا مع أصحاب الحرف، أن الصمت الغامض يشيع فى نفوس الآخرين الرهبة والاحترام.

نزلت الطائرة فى حديقة القصر، كانت "إيڤا" فى استقبالى، حول حمام السباحة تناولنا طعام الغداء وبدأ الحديث: متى قررت أن تفاتح زوجتك فى الموضوع؟

- الواقع أننى لم أقرر ذلك بعد.

- حسنا مادمت عاجزا عن اتخاذ القرار.. اسمح لى أن اتخذه أنا.

قالت ذلك ثم أشارت لواحدة من فتيات الحرس، عندما جاءت الفتاة قالت لها: أبلغى طيار البوينج بأن يستعد للذهاب فى السابعة صباحا إلى القاهرة، مصر واحجزى عددا من الغرف.. لى ولطاقم السكرتارية الخاصة، لليلة واحدة.

ثم التفتت إلى: أريدك أن تفاتح زوجتك فى الموضوع فور وصولك، إذا عجزت عن ذلك.. أترك لى المسألة كلها سأفاتحها أنا فى ذلك..

استولت على رعشة: تفاتحينها أنت؟

- نعم.. وأنا واثقة بأنها سترحب بزواجك منى..

• ترحب؟!

- نعم..

• هل لديك تأمين صحى فى القاهرة؟

- لدى تأمين صحى فى كل مكان فى العالم.. لماذا؟

• لا أبدا.. فى الغالب ستذبحك زوجتى أو على الأقل ستدشدش عظامك.

ضحكت طويلا ثم قالت: يا عزيزى.. أنت تعطى لنفسك تقديرا أكثر مما تستحق، كل الرجال فيهم هذا العيب.. الرومانسية والغرور.. أما المرأة فهى عملية جدا وواقعية، تحسب مكاسبها وخسائرها بالمليم، سأثبت لها ان هذه الصفقة ليست خاسرة بالنسبة لها.

- صفقة؟! أتسمين زواجى منك صفقة؟

• عملية، مشروع، شغل، زواج، سمه ماشئت، النتيجة واحدة.

سكت، انشغلت بتناول الطعام وقد بدأت أشعر بخوف غامض وكأن يدا باردة تمسك بقلبى على وشك أن تعتصره. اقتربت فتاه من السكرتارية وناولتها عدة أوراق، تصفحتها إيفا بسرعة ونظرت لى مبتسمة وقالت: لقد أرسلت إلى وكيلى فى القاهرة للحصول على مقاسات بناتك وزوجتك وأصدقائك المقربين.. لابد أن نشترى لهم من باريس بعض الملابس والهدايا.. هل تفضل

الشراء من عند بييركاردان؟

قلت شاردا: كما يحلولك.. ولكن كيف عرف وكيلك فى القاهرة مقاسات ملابس بناتى وزوجتى وأصدقائى؟

ردت ببساطة: التقط لهم عدة صور فوتوغرافية أثناء سيرهم فى الشارع، وبعملية حسابية بسيطة توصل لمقياس الرسم فى الصورة وذلك بإيجاد النسبة بين طول الرصيف فى الصورة وطوله فى الواقع، وهكذا عرف مقاساتهم بالمليمتر.

بدأت أشعر بالفزع. هل تعمل هذه السيدة مع «المافيا» العالمية؟!

الدرس

المثل الشعبى يقول «جوز الاثنين ياقادر يافاجر» فى الواقع، أنا بكل المقاييس لست فاجرا والعياذ بالله، إذن لابد أن أكون متمتعا بالصفة الأخرى، وهى القدرة، على الأقل القدرة على أن أذهب لزوجتى وأقول لها: على فكرة.. أنا حاتجوز.

فهل أنا قادر على ذلك؟

أعترف أنه من الدناءة أن يتزوج الرجل على زوجته التى صاحبته فى طريق النضال الطويل وعاشت معه على الحلوة والمرة الى أن وصل إلى تحقيق لاشئ. ولكن لابد من الاعتراف أيضا أنه من الحماقة والغباء أن يرفض مخلوق الزواج من حسناء مليارديرة يتمناها كل رجال الأرض. إنها - على الأقل - تجربة حياتية جديدة ستفجر حتما فى أعماقى قنابل الإبداع وتثرى أعمالى الفنية، وفى سبيل الفن طبعا يهون كل شئ. ولكنى سألت نفسى بعقل بارد.

هل وقعت هذه السيدة، فى غرامى فعلا أم إنها تخطط لمشروع تجارى فى الشرق الأوسط، وفى سبيل الحصول على حملة دعاية كبيرة لا مانع لديها من الزواج من كاتب مسرحى مصرى، هذه هى وجهة نظر صديقى يحيى زيدان التى أغضبتنى عندما صارحنى بها، ولكنى الآن بدأت أفكر فى وجاهة هذا

التفسير، لنفرض أننى تزوجتها، فهل سأكون أنا الرجل وهى الأنثى، أم أن العكس سيكون صحيحا.

لقد أصدرت أوامرها بأن تستعد طائرتها الخاصة للطيران فى الغد إلى القاهرة دون أن تناقشني فى الأمر وكأننى أحد موظفيها، من الواضح أننى سأكسب الملايين، وسأصبح هدفا لحسد وحقد كل الرجال، هذه المرأة أعظم من جائزة نوبل وبذلك أتفوق على صديقى نجيب محفوظ، وهى أعظم من سكرتارية الأمم المتحدة وبذلك أتفوق على الدكتور بطرس غالي، ولكن لا داعى لخداع الذات، سأفقد حريتى وفرديتى، وخصوصيتى، سأصبح عبدا يرتدى الحرير، عبدا يمتطى اليخوت والطائرات، أو فى أفضل الأحوال سأكون زوجا للست، ولكن هل من الممكن أن أقمع هذه السيدة، هل من الممكن أن أثبت لها أننى أغنى منها؟ وأنها إذا كانت تمتلك ثلاثة مليارات من الدولارات فأنا أمتلك رصيدا من الفن والحكمة والأبداع والثقافة لا يقل ثمنه عن عشرين مليار دولار، وإننى أنا الرجل وأن عليها أن تخشانى، وأن تعمل حسابى، وأن.. وأن.. وأن.

عند ذلك الحد وجدتنى فريسة للقلق والمزاج السوداوى، أفقدنى هذا الاحساس ذلك الشعور بالسعادة الذى شعرت به عندما فاتحتنى فى الزواج لأول مرة، وشعرت أننى أمشى صوب فخ فظيع مغمض العينين مسلوب الإرادة. لابد أن أثبت لها فورا أنى أنا الرجل.. أنا السيد، أنا الذى يصدر الأوامر، أو على الأقل يجب أن تأخذ رأيى فى كل ما يتعلق بى، عند ذلك قلت لها بصوت

تعمدت أن أجعله حازما بعض الشئ.

– إيفا.. ألا تلاحظين أنك تتصرفين بشكل غير ديموقراطى؟

• ماذا تقصد؟

– أقصد أنك أتخذت قرارا بأن أسافر غدا إلى القاهرة، ثم قرارا آخر بأن تصاحبينى فى هذه الرحلة، ثم قرارا ثالثا بأن تتولى مفاتحة زوجتى فى موضوع زواجى منك.. وكأننى لست موجودا..

ردت إيفا بهدوء: حسنا.. دعنى أتعلم منك الديموقراطية، ماذا تريد؟

– أريد أن أقول..

صرخت إيفا فجأة: لست أسألك ماذا تريد أن تقول، أريد أن أعرف منك ماذا تريد أن تفعل.. ألا تريد أن تتزوجنى..؟

– طبعا.. أريد ذلك.

• وتريد أن تحصل على موافقة زوجتك على هذا الزواج؟

– نعم.

• أين المشكلة إذن؟

– المشكلة أنك تتخذين القرارات دون أن تسمعينى.

• ولماذا أضيع الوقت فى سماعك بينما أنا أعرف ما تريد.. وأتخذ من القرارات ما يتفق مع ما تريده..؟

– أريد أن أقول..

وهنا تحولت إيڤا الجميلة إلى وحش هائج: آه.. تريد أن تقول.. هذا فقط هو ما تعرفونه عن الديموقراطية.. حرية القول وليس حرية الفعل.. الرغبة الحارقة فى الحديث لإخفاء رغباتكم الحقيقية.. محاولة تجنب الفعل بكل الطرق للاستمتاع بالكلام الدائرى.. هذه هى الديموقراطية «الهاملتية» هل أقول كذا.. أم أقول كذا..؟ هذا هو السؤال.. ديموقراطية ضياع الوقت والمبارزة بالكلمات وليس بالأفعال، ولذلك أنتم تحترمون القتلة والطغاة لأنهم على الأقل قادرون على الفعل

صرخت فيها أنا الآخر: أنت تمنعيننى من حرية التعبير عما أريد..

– لا.. أنا أمنعك من حرية تضييع الوقت، إلا إذا كنت تخدعنى وتخدع نفسك وأنه لا رغبة عندك فى الزواج منى.. اسمع يا سيدى القادم من الشرق، دعنى أعلمك الدرس الأول فى الديموقراطية، الدرس الأول: أن تعرف ماذا تريد.. ماذا تريد؟

– أريد أن.. أريد أن .. أن..

– نعم .. ماذا تريد؟

فى تلك اللحظات اكتشفت فى أعماقى شيئا مروعا، أنا عاجز حقيقة عن معرفة ما أريد، وبالتالى أنا فى حاجة فعلا لتعلم الدرس الأول فى الديموقراطية، صمتت إيڤا لحظات ثم قالت: أنت تريد كل شئ وترفض أن تدفع ثمنا لأى شئ، هذا هو ما تعرفونه عن الديموقراطية فى الشرق، تريد المال والجمال والجاه والنفوذ،

تريد أن تتزوجنى، وتريد أن تحصل على موافقة زوجتك، تريد أن تكون سيدا علّى وأن أكون جارية لك، أليس هذا هو حقيقة ماتريد؟

لست أعرف أى شيطان صور لى أن أتحداها فقلت لها: نعم.. نعم.. هذا ما أريده.. مارأيك الآن؟

فقالت وهى تتنهد بارتياح: الحمد لله.. ها أنت تسير فى طريق الديموقراطية بعد أن نجحت فى الإفصاح عما تريد، لا تزويق أو تزوير.. والآن أثبت لى أنك أقوى منى لكى أعترف بك سيدا علّى، وأعين نفسى جارية لك ، أمتعك وأرقص لك، وألبىّ رغباتك ونزواتك وأبكى ألماً عندما أفشل فى إرضائك، تفضل، اضربنى..

– ماذا؟ أضربك؟

- نعم.. اضربنى.. هذه هى الطريقة الوحيدة .. التى تثبت بها أنك أقوى منى..

– ضرب النساء أمر يدل على حقارة الرجل..

- لا عليك، إننى أسمح لك بذلك، وأطلبه منك، هل لديك طريقة أخرى تثبت بها لى أنك أنت الأقوى؟.. اتفضل اضربنى والا ضربتك أنا..

غلت الدماء فى عروقى، هذه السيدة الامريكية تهددنى بالضرب، وكأننى، وكأننى.. بلد من بلدان العالم الثالث، أنا؟! صاحب الخمسة آلاف سنة من الحضارة. فى تلك اللحظة قررت

أن ألقنها درسا لا تنساه، ولا تنساه الحضارة الغربية كلها، بسرعة البرق رفعت يدى وهويت بكفى على وجهها؟

هل قلت أنني أهويت بكفى على وجهها؟.. الواقع أن كفى لم يقدر لها أن تلامس خدها حتى كتابة هذه السطور. كل ما أذكره أننى رفعت يدى بسرعة البرق ولكنها- بأسرع من البرق- كانت قد اعترضت بذراعها اليسرى ذراعى اليمنى النازلة عليها كالصاعقة، وفى اللحظة التالية كانت قد أمسكت بأصابعى وثنتها بقوة فصرخت من الألم، ثم لوت ذراعى خلف ظهرى ودفعتنى بقوة برفسة من قدمها فهويت على الأرض محدثا دويا هائلا.

وقفت بسرعة على قدمى وقد أصبت بالجنون، لن أكتفى هذه المرة بصفعها، سأقتلها، هجمت عليها كالوحش، فجأة وقبل أن أصل إليها وأفتك بها، تحركت من مكانها عدة سنتيمترات ثم مدت ساقها أمامى، فاندفعت بكل ثقلى فى اتجاه الحائط، اصطدمت بالحائط صدمة شنيعة، ومرة أخرى سقطت على الأرض، لابد أن حوضى انكسر هذه المرة، لأننى سمعت طقطقة عظامى، عجزت عن الوقوف بسهولة، غير أننى قاومت الألم لكى لا تشمت فى وتمكنت أخيرا من الوقوف بصعوبة ثم انهرت جالسا على أقرب كنبة.

قالت إيفا: أنا آسفة، اذا كان الدرس الأول فى الديموقراطية أن تعرف ماذا تريد فالدرس الثانى أن تكون قادرا على تنفيذه أو الحصول عليه، وإلا أصبح من حق من هو أقوى منك أن يتخذ لك القرار.. غدا صباحا، نطير إلى القاهرة .

قلت لها بصوت خافت: لا أستطيع الحركة، أنا مصاب، أنقلينى إلى المستشفى.

ردت: هى مجرد كدمات.. أنت مصاب فقط بجرح فى كبريائك كرجل، كل الضربات التى وجهتها لك، ضربات فنية معجّزة، راعيت فيها الا أكسر لك أى جزء من عظامك.

بعد ذلك أخذت تدلك لى الأجزاء المصابة بأنواع غالية من الكريم، وهى تكلمنى كلاما لطيفا، لم أسمع كلمة واحدة مما قالته، فقد سرحت بعيدا أفكر فى حالى، كنت أعتقد أن القوة هى قوة العقل، لذلك ضيعت عمرى فى حشو عقلى بالثقافة والفن والأفكار وبأوهام الخمسة آلاف سنة حضارة، فى لحظة واحدة اكتشفت نتيجة إهمالى لقوة جسمى وفنون الصراع. لم يكن عقلى سليما، لأنه لم يكن مركبا فى جسم سليم.

والآن، ماذا ستفعل بى هذه المرأة إذا رفضت الزواج منها؟..

هل سيضطرنى الأمر إلى اللجوء لصديقى شيخ العرب محمد عبدالحليم موسى؟..

وهل الشرطة المصرية قادرة على حمايتى من هذه المرأة؟

بدأت أيضاً أتعرف على ملامح الدرس الثالث فى الديموقراطية، ليس من حق الضعفاء الحديث عنها فضلاً عن الاستمتاع بها.

هل أقتلها؟

فى غرفة من غرف القصر تطل على بحيرة صناعية كبيرة، نمت تلك الليلة نوماً متقطعاً تتخلله الكوابيس المفزعة، كان كل جزء من جسمى يؤلمنى، وبالرغم من فخامة الغرفة إلا أننى كنت تعساً للغاية، ضاعف من ألمى إحساسى الشديد بالخجل، فمن النادر فى الشرق والغرب أن تضرب امرأة رجلاً، هذا ما كنت أتصوره قبل أن تخبرنى إيفا أن رجلاً من كل خمسة فى أمريكا يتعرض للضرب من زوجته وأنه من النادر أن يبلغ أحدهم الشرطة خجلاً أو رعباً، وهذه إحصائية استطاعت مراكز الأبحاث الوصول إليها عن طريق سؤال الجيران؟ بدأت أفكارى تتطاير فى شتى الاتجاهات، عندما أستعيد قوتى سأشترك على الفور فى أحد النوادى لتعلم فنون الملاكمة والمصارعة والكراتيه والكونج فو.

بين النوم واليقظة أخذت أستعيد ماحدث وأفكر فيه، لقد طلبت منى أن أضربها، فاستسلمت لرغبتها، هل كان يجب أن أمتنع عن ذلك، نعم، هذا ما كان يجب، لأن القاعدة الإساسية فى الصراع هى ألا تبدأ معركة مع عدو لا تعرف مقدماً نتيجتها، والقاعدة الذهبية الأخرى هى ألا تبدأ حرباً مع عدو لاتعرف شيئاً عن قدراته القتالية، لو أننى كنت أعرف أن "إيفا" تجيد فنون القتال بالأيدى المجردة لما جرؤت مطلقاً على أن أخوض معها هذه

المعركة، أعترف للقارئ بأننى تصورت بأننى سأصفعها بقوة عند ذلك ترتمى فى أحضانى مثلما كان يحدث لأبطال الأفلام الأمريكية القديمة، "كلارك جيبل" و "تايرون باور" و "روبرت تايلور" وغيرهم من عباد الله المحظوظين.

الآن فقط عرفت لماذا أعطاها مطلقها هذا المبلغ الكبير "٣ مليارات من الدولارات". بالتأكيد لكى يتخلص منها، أخيراً بدأ عقلى يصفو عند الفجر تقريباً، أخذت أفكر بهدوء إلى أن وصلت لقرار: الجوازة دى، مش لازم تتم.

هذا ما يجب أن أصارح به إيڤا فى الصباح، ترى ماذا سيكون رد فعلها، هل ستلجأ للكاراتيه مرة أخرى؟ لايجب أن أصارحها هنا فى أمريكا، أنا هنا غريب، أجنبى، من الأقليات، ولكنى فى القاهرة مواطن درجة أولى وشخصية مهمة، من حسن السياسة أن أسافر معها إلى القاهرة، وهناك سأحرص فور خروجى من المطار على شراء مطواة قرن غزال أو جنزير أو حتى مسدس للدفاع عن نفسى، ثم أصارحها بأننى أرفض الزواج من إنسانه تجيد الكاراتيه والجودو وأننى خدعت فيها. ولكن ماذا لو تطورت الأحداث فى إتجاه مفاجئ خطر؟ لنفرض أنه حدثت بيننا معركة أخرى وسقطت هى قتيلة؟! هل سيصدق القضاء فى مصر أو فى أمريكا أننى قتلتها دفاعاً عن النفس؟ لابد من خطة دفاع أخرى.. وبدأت أتخيل نفسى فى قاعة المحكمة.

ياحضرات المستشارين، نعم قتلت السيدة "إيڤا ترامب"، ليس

دفاعاً عن النفس، ولكن دفاعاً عن العالم الثالث، لقد أهانت العالم الثالث، ففقدت أعصابى وأردت أن "أهوشها" بالمطواة ولكن السلاح "طوِل" وفوجئت بها ممدة على الأرض والدماء تنزف منها، دفاع سخيف لن يقنع حتى الحاجب الذى يقف على باب الجلسة، لابد من دفاع آخر.

ياحضرات المستشارين، لقد قتلتها بدافع من الحب، وأنا أطلب تشكيل لجنة من أساتذة علم النفس، الدكاترة محمد شعلان، يسرى عبد المحسن، عادل صادق، يحيى الرخاوى لكى يشهدوا بأن الحب كان الدافع لجريمتى طبقاً للنظرية الشهيرة "ومن الحب ما قتل" ولكن من يدرى؟! أليس من الجائز أن تحبك النكتة مع القاضى فيحكم على بالإعدام أو بالسجن المؤبد لحماية بقية الحسناوات من حبى لهن؟!.

ولماذا العنف؟.. المسألة أبسط من ذلك بكثير، عندما نصل إلى القاهرة، سأختفى على الفور فى مكان لايعرفه مخلوق، حتى لو اضطررت للجوء إلى مغارة فى الجبل مع المطاريد وقطاع الطرق، حتى المجرمين فى مصر يكنون لى تقديراً خاصاً، فهم على الأقل شاهدوا لى عملاً فنياً هو "مدرسة المشاغبين" وبدأت أتخيل نفسى فى أعماق الصعيد مع عتاولة المجرمين، جالساً فى ركن المغارة أقرأ سقراط على ضوء لمبة الغاز، أو أستمتع بقراءة أشعار "كولردج" بينما زملائى يحتسون الشاى الأسود وينظفون بنادقهم إستعداداً لغزوة ليلية، ولكن هل سأظل مختفياً للأبد؟ بالطبع سأظهر فى القاهرة، عند ذلك ستهبط على "إيفا" فى أى

لحظة، يا إلهى، هل هو فخ؟ هل أستسلم وأتزوجها؟

استيقظت من هذه الأفكار السوداء على صوت طرقات خفيفة على باب الغرفة، لم أرد، فتح باب الغرفة بهدوء ودخلت "إيڤا" على أطراف أصابعها، كانت ترتدى، لا، لن أصف لك ما كانت ترتديه وعموماً إذا كانت لك خبرة سابقة أو حالية بالبشر من أصحاب الملاين فمن المؤكد أنك تعرف، أما إذا كنت - ياعزيزى القارئ- تنتمى لطائفة أصحاب الملاليم فلا داعى لأن أثير خيالك أو أحزانك أو حقدك، اقتربت "إيڤا" من السرير وهمست: أخبارك إيه دلوقت؟

أغلقت عينى ولم أرد عليها، ثم أخذت أتقلب فى السرير وأنا أتاوه من الألم، مرت لحظات قبل أن تستدير وتخرج من الغرفة فى هدوء، أخذت أفكر فى عناصر المشهد، أنا فى غرفة نوم فاخرة الرياش أتقلب على ريش النعام، تدخل حسناء أمريكية، أتجاهل وجودها، أتصنع النوم، فتخرج من الغرفة وتغلق خلفها الباب، لو أننى كتبت هذا المشهد فى فيلم لتصاعدت على الفور أفظع أنواع الشتائم والسباب من المتفرجين فى الصالة والبلكون والألواج، من المؤكد أنهم كانوا سيكسرون مقاعد السينما ويدمرون جدرانها ويقتلون موظفيها ثم يخرجون إلى الشارع مكررين أحداث ١٨، ١٩ يناير.

فى الصباح التقينا على مائدة الإفطار، جلست متجهماً، قلت لها فى تهديد: إيڤا.. لو أنك حاولت أن تكررى مافعلته بى

بالأمس، سأقتلك على الفور، سأمزقك إرباً.

ابتسمت في رقة، وقالت: أعرف ذلك.

- لست أمزح، أنا أتكلم جاداً، لقد فاجأتني بالأمس.. أخذتني على "خوانة".. لن أسمح لك بأن تكررى ما حدث مرة أخرى.. أؤكد لك أننى على استعداد لذبحك.

مرة أخري ابتسمت في ود وقالت: أعرف ذلك.. وعموماً لست فى حاجة لأن أكرر ما حدث.. هل تذكر ما كان يحدث عندكم للمثقفين فى المعتقلات فى الستينيات؟ .. على باب المعتقل كانت تقام للمثقف حفلة استقبال، يتلقى فيها علقة يعجز العقل عن نسيانها، هذه العلقة كانت تعلمه الانضباط للأبد.. أنا واثقة الآن إنك إنسان منضبط جداً.

وقفت اللقمة فى حلقى، نهضت واقفاً على الفور وغادرت المكان، لحقت بى فى قفزة واحدة، أمسكت بكتفى، حدقت فى عينى ببرود قاتل وهمست: تعلم الأدب.. لابد أن تستأذن قبل أن تتركنى.. رايح فين؟

- لا أبداً.. مش رايح أى حتة.

• خلاص.. ارجع اطفح.

- حاضر.

عدت إلى المائدة.. لابد من قتل هذه المرأة.

أنا جاريتك يامولاي

ماحدث لى أغرب من الخيال، خرجت أنا وإيڤا من قصرها فى طريقنا إلى المطار لنستقل طائرتها البوئيج الخاصة إلى القاهرة، كان موكبنا مكوناً من ثلاث سيارات، فى المقدمة كانت سيارة الحرس الخاص وسيارة إيڤا فى الوسط ومن خلفنا كانت سيارة المساعدين والسكرتارية، وفجأة وعلى بعد أمتار من القصر فوجئنا بآلاف البشر من فقراء المدينة يشعلون النار فى المحلات وينهبونها ويحطمون السيارات وخاصة الفخمة منها. فوجئنا بحواجز على الطريق من إطارات السيارات المشتعلة، شعرت بالفزع، وفوجئت بأن الفزع قد استولى على إيڤا أيضا، فى تلك اللحظة أدركت أن الفزع لا يفرق بين غنى وفقير وأن أصحاب المليارات ينتابهم الفزع أيضا، بل ويشكل مبالغ فيه.

على الفور أخرج الحراس فى السيارة الأولى مدافعهم الرشاشة وأطلقوا عدة دفعات من طلقات الرصاص فى الهواء، ولكن الجماهير التى فقدت عقلها بتأثير الغضب، حاصرتنا ثم فتحوا أبواب السيارة الأولى وانتزعوا الرشاشات من رجال الحرس الخصوصى ثم انهالوا عليهم ضرباً بوحشية.

ياللحظ التعس، سوف يمزقوننى إرباً، سأدفع حياتى ثمناً لأخطاء الحزب الجمهورى فى سياسته الداخلية، أعطت إيڤا أوامرها للسائق بأن يعود فوراً إلى القصر، ولكن السائق فشل

فى الدوران بالسيارة، كانت أى حركة من السيارة كفيلة بقتل عدد كبير من البشر، لحسن الحظ كانت سيارة إيڤا من النوع المضاد للرصاص، انهالت الجماهير على السيارة بالبلط والجنازير، ولكن الضربات فشلت فى تحطيمها، ولكن كان من المستحيل أن تصمد السيارة إلى الأبد، كان السائق يستنجد من تليفون السيارة بالشرطة ويحدد لهم مكاننا، عندما تمكن من الاتصال بهم رد عليه ضابط الشرطة قائلا أنه تلقى فى هذه اللحظة مائة بلاغ من أنحاء المدينة المختلفة، ولكنه وعد بأن يخف إلى نجدتنا بعد عشرين دقيقة. هل سنبقى أحياء لمدة عشرين دقيقة؟

كان المهاجمون يتراجعون للوراء عدة خطوات ثم يهجمون على السيارة، انتهزت فرصة ابتعادهم وبسرعة البرق خرجت من السيارة رافعاً يدى إلى أعلى علامة الاستسلام ثم قفزت على سقف السيارة وأنا أصيح بصوت قوى: هل تقتلون أفريقياً؟ يا إخوتى، يا أبناء قارتى السوداء .. هل تقتلون أفريقيا؟

بعد ذلك ركعت على ركبتى فوق السيارة ومازلت رافعاً ذراعى إلى أعلى مواصلاً خطبتى بصوت قوى وقد حرصت على شحنه بأكبر قدر من نبرات العذاب والألم: هيا .. اقتلونى يا أبناء قبيلتى..

يبدو أن مواهب الانسان تتفجر عندما يتعرض لخطر داهم، من أين أتت لى تلك البلاغة وهذا التدفق فى اللغة الانجليزية؟!

– جدى كان الحفيد الرابع لكونتا كنتى، وجدتى ابنة عم تشومبى، وخالتى هى ابنة خال الزعيم لومومبا.. ونلسون مانديلا صديق لى. أنا هارب من المجاعة فى أفريقيا، وهارب من الاستبداد، فهل أتيت إلى هنا لكى يقتلنى اخوتى وأهل قارتى؟.. حسناً.. هيا اقتلونى لكى أتخلص من هذا العار.

القتلة عادة يفقدون لذة القتل عندما تطالبهم الضحية بقتلها. واصلت خطابى وأنا أبكى بدموع حقيقية، من أين أتت هذه الدموع؟.. لست أدرى.. أخذت أصيح وأنا أخبط على صدرى وأدق بقدمى على سقف السيارة فى إيقاعات متناغمة مع الكلام، نظرت إلى قرص الشمس ثم غطيت عينى بكفى وأنا أصيح: أيتها الشمس، قفى مكانك، لاتتحركى.. أنت تشاهدين الآن ما شهدته بالأمس وما شاهدته من آلاف السنين، يتربص الشر بالحضارات، يقف خلف أسوارها منتهزاً فرصة للانقضاض عليها.. ولكنه الآن فى هذا العصر التعس يعيش مختبئاً داخل الحضارة نفسها.

كنت أعرف بالطبع أننى أقول أى كلام فارغ. وهذا هو ما يجب أن تفعله بالضبط مع الجماهير الهائجة، لاتقل كلاما له معنى، المهم إيقاعات الجمل، ودرجات الارتفاع والانخفاض فى الصوت. فى تلك اللحظة تذكرت خطبة أنطونيو الشهيرة التى استولى بها على الجماهير بعد مقتل يوليوس قيصر. أخرجت من جيبى ورقة فولسكاب وأخذت ألوح بها مواصلاً خطبتى: لقد كنت أطلب من الله أن يقتلنى أشخاص من أهل قارتى وليس من قارة

أخرى.. الحمد لله، لقد استجاب الله لدعائى.. ولكنى أعترف لكم يا أصدقائى أننى كنت أريد أن أقرأ لكم هذه الورقة لكى تعرفوا المهمة التى كنت ذاهباً اليها مع السيدة الطيبة التى تجلس مفزوعة الآن فى السيارة، ولكن يبدو أنه لا وقت لديكم،.. اتفضلوا.. اذبحونا.. اشنقونا على أقرب عمود كهرباء.. مزقوا أجسامنا بسكاكينكم الكريمة، لا داعى لأن أقرأ الورقة.. سأمزقها.. هل أمزقها يا إخوتى؟

وهنا صاح شخص ضخم الجثة: لا.. لا تمزقها.. اقرأها. دعوه يقرأها ثم نقتله بعد ذلك.. اقرأ الورقة..

وهنا بدأت الجماهير تصيح: اقرأ الورقة.. اقرأ الورقة..

انتقلت الصيحة من الشارع إلى الشوارع المجاورة، كانت الجماهير تصيح كهزيم الرعد فى كل شوارع لوس انجلوس: اقرأ الورقة.. اقرأ الورقة..

فصحت: حسنا يا أصدقائى، حسنا يا اخوتى.. حسنا يا أبناء قبيلتى، سأقرأ الورقة، سأقرأ الورقة.. فقط اسمعونى.. اسمعونى يا نبلاء، ياخير من أنجبت الأرض..

ساد الصمت «حتى الآن لا يعرف علماء الاجتماع سر ذلك الصمت الذى استمر عشر دقائق فى لوس انجلوس أثناء الأحداث».. بدأت أقرأ من الورقة: السيد رئيس المحكمة الفيدرالية العليا، مقدمته إلى سيادتكم، إيفا ترامب المليارديرة، وعنوانها ٢٥ شارع ابرهام لنكولن، أحتج بشدة على ذلك الحكم الظالم الذى

برأ الضباط الذين ضربوا المواطن الزنجي.. واسمحوا لى أن أعلن أننى أشعر بالخجل كمواطنة أمريكية، لذلك أرجو من عدالتكم التكرم بقبول تبرعى بكل ثروتى التى تبلغ خمسين مليار دولار لمساعدة الزنوج.. نعم أيها السادة، لقد كنا فى طريقنا لندفع لكم خمسين مليار دولار، والله على ما أقول شهيد، ولكن ذلك لن يحدث للأسف لأنكم تريدون قتلنا، ونحن نرحب بذلك.. حسناً.. اقتلونا.. ولكن قبل ذلك، لابد أن نحيي السيدة الطيبة ذات الضمير الحي..

استجمعت كل قوتي وصحت: عاشت إيڤا ترامب.

وهنا بدأت الجماهير تردد الهتاف خلفي بتلقائية، كان لابد من إكمال التمثيلية بسرعة قبل أن تفيق الجماهير. قفزت من فوق السيارة إلى الأرض ثم فتحت باب السيارة وأنا أنحنى لإيڤا بشكل مسرحي: اخرجى ياسيدتى النبيلة.. الجماهير تريد أن تشكرك وتحييك.

خرجت إيڤا من السيارة وهى ترتجف وقد رسمت على وجهها ابتسامة باهتة.

حملتنا الجماهير على الأعناق وسارت بنا فى اتجاه القصر مرددة الهتافات: بالروح، بالدم، نفديك يا إيڤا.

وهتاف آخر طريف: إيڤا ترامب يا إيڤا ترامب.. اتجوزى المصرى وخديه على جنب.

الواقع إننى لم أفهم حكاية خديه على جنب هذه، ولكن يبدو

أنها كانت من أجل الوزن فقط. تركتنا الجماهير أمام بوابة القصر حيث وقفت بينهم خطيباً مرة أخرى ثم أنهيت خطبتى قائلا: والآن يا أبناء قارتى.. واصلوا طريقكم للقضاء على الأوغاد.. سألحق بكم بعد قليل.

تركونا وساروا فى الشارع يواصلون تحطيم السيارات والمحلات ونهبها.

لم تصدق إيڤا إننا نجونا، تم إغلاق كل بوابات القصر أليكترونيا وتمت كهربة الأسوار الحديدية. داخل القصر قالت لى إيڤا: لقد أنقذت حياتي، لقد طلبت منك من قبل أن أكون زوجة لك، أما الآن، فأنا أطلب منك أن أكون جارية لك.. هل تسمح لى بذلك.. يامولاى.

من حقك يا عزيزى القارئ ألا تصدق أنها قالت لى «يامولاى» ولكن هذا ما حدث فعلاً لقد استخدمت تعبير «My Lord» ومعناه الحرفى «مولاى».

رددت عليها بهدوء: أشكرك.. فلست أحب الجوارى.. لقد أردت فقط أن أثبت لك أن القوة الحقيقية ليست قوة العضلات بل هى قوة الفكرة المبدعة.. كما أن الشجاعة هى القدرة على التصرف السليم فى لحظات الخطر.

كنت أشعر بالتعب بعد المجهود العصبى العنيف الذى بذلته، ألقيت بجسدى على كنبة مريحة ثم قلت لها: إيڤا.. قلّعينى الجزمة.

انحنت إيڤا أمامى على ركبتيها وبدأت تفك رباط الحذاء.

طلبت منها بعد ذلك أن تجهز لى الحمام وتعطينى قرصاً مهدئاً. وفى السرير أخذت أراقب ألسنة اللهب وهى تتصاعد فى أنحاء لوس انجلوس ثم نمت كالقتيل.

المعتقل

سبعة أيام قضيتها فى لوس انجلوس محبوساً فى قصر النعيم، لم يكن لدى ما أفعله سوى السباحة فى البيسين الرئيسى والقراءة ومتابعة الأحداث على شاشة التليفزيون، والاستمتاع بالمعاملة الطيبة من خدم القصر.

لم أكن أرى إيفا إلا نادراً، فالطائرة الهليوكوبتر تأتى فى حوالى السادسة والنصف صباحاً لتذهب بها إلى مكتبها، أقصد إلى مكاتبها المنتشرة فى أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية لتعود فى المساء مجهدة. ولكنها - للحقيقة والتاريخ - كانت تحرص على أن تقول لى: هاى.. ثم تختفى على الفور.

هل هذه السيدة فى حاجة فعلاً إلى الزواج؟ هل لديها وقت تعطيه لزوجها؟ وماذا عنى أنا، هل تناسبنى حياة القصور والملايين؟ أمر ممتع للغاية أن يستمتع الإنسان بحياة القصور لعدة ساعات أو لعدة أيام. ولكن مواصلة الحياة على هذا النحو تعذبنى. أريد أن أمشى فى الشوارع وأن آكل سندوتشات الهامبورجر على الأرصفة، أريد الجلوس مع أصدقائى والحديث بصوت مرتفع والسخرية من أصحاب الملايين وأصحاب الحياة الفخمة، كيف أسخر منهم الآن بعد أن أصبحت - تقريبا- منهم؟

ثم أين ذلك الإحساس المؤلم بلذة الاحتياج؟ ذلك الإحساس

الجميل الذى يشعرك بقدر من المرارة تتحول - بقوة النفس - إلى دافع على العمل والكفاح. ثم ماذا سيقول الآخرون عنى؟ جوز الست، أشترته بفلوسها؟ كيف سأتحمل نظرات الآخرين؟ بالطبع سيتكلمون ويتعاملون معى بكل احترام ولكن ماذا سيقولون عنى من خلف ظهرى؟ وماذا عن الإبداع؟ إن الحاجة للفلوس من أعظم الدوافع للكتابة والإبداع، هل سأبدع بعد أن تتوافر لدى الملايين؟ لماذا لأ؟ هل جربت من قبل أن تكون غنيا؟ إن كل تجربتك الإبداعية محصورة حتى الآن فى دائرة الفقر، أليس من الجائز أن تتفجر بداخلك مع وجود الفلوس - طاقات للإبداع لم تكن معروفة لك من قبل؟

ولكن، لماذا أنا حزين بينما أنا محاط بكل هذا النعيم؟

فى تلك الليلة، عندما استمعت إلى صوت الهليوكبتر تهبط فى حديقة القصر، قررت أن أفاتح إيڤا بصراحة فى حياتى المقبلة، لابد أن يكون لى أنا أيضا شروط.

مرت على فى المكتبة وقالت بسرعة: هاى..

قبل أن تستدير لتنصرف قلت لها: إيڤا.. أريد أن أتكلم معك فى أمر مهم.

تثاءبت وهى تقول بصوت مجهد: ألا يمكن تأجيل ذلك.. أنا متعبة جداً.. ظللت أعمل لمدة خمس عشرة ساعة متوالية.. أجلها...

- إلى متى؟

نظرت متسائلة إلى السكرتيرة التى كانت تقف خلفها، ردت عليها السكرتيرة: المتاح هو ٤٧ دقيقة يوم الاثنين وأربعون دقيقة يوم الثلاثاء بعد الثامنةمساء..

فقلت بغضب: ولماذا لا نتكلم فى الأجازة.. مساء يوم الجمعة أو خلال يومى السبت والأحد؟

أجابت إيڤا: أنا لا أتكلم فى أى شئ جاد فى أجازتى الأسبوعية، أنا عادة أخصص أجازتى الأسبوعية للاستمتاع بحياتى فقط.. آسفة ياعلى.. إننى على وشك أن أسقط من الأعياء.. سأترك لك السكرتيرة لتحدد معها الموعد.. هاى.

قالت ذلك وانصرفت إلى غرفتها، أحسست بطعنة فى كبريائى، تظاهرت بأن الأمر لا يهمنى، مطلوب أن أحدد موعداً عن طريق السكرتيرة للحديث مع السيدة التى يفترض أنها خطيبتى!! ماذا سيحدث بعد زواجى منها، هل سيتطلب الأمر موافقة الكونجرس؟!

شكرت السكرتيرة ثم عدت إلى غرفتى، قضيت الليل كله وأنا أغلى، وفى الصباح الباكر وفى حديقة القصر كنت مرتديا ملابسى، عندما جاءت الهليوكوبتر صعدت اليها على الفور وجلست فى المقعد الأمامى خلف الطيار مباشرة، عندما جاءت إيڤا دهشت قليلا لوجودى ولكنها سألتنى بلطف: إلى أين؟

– إلى أى مكان.. نزلونى فى أى حتة.. أريد أن أشم قليلاً من الهواء..

• ألا يوجد هنا هواء فى حديقة القصر؟

- أريد أن أشم هواء الشارع..

• لماذا..؟

- مزاجى.

• ياصديقى، يبدو لى أنك منحرف المزاج قليلاً اليوم.. ومن الواضح أنك لم تنم جيداً.. أعدك بأننا سنقضى يومى السبت والأحد فى مكان جميل.

- لا أريد أن أنتظر ليومى السبت والأحد للاستمتاع بمكان جميل أو سخيف.. أريد أن أخرج من هذا القصر الآن.. الآن.. ومن فضلك لاتحاولى منعى من الخروج.

• من الواضح أنك غاضب منى ياحبيبى.. هل أنت غاضب منى؟

- لأ.. لست غاضباً منك.. ولا يوجد مخلوق فى أمريكا قادر على إغضابى..

• اسمع.. لدى موعد الآن مع جون روكفلر، وإذا تأخرت عن موعدى قد تضيع علىَّ صفقة مقدارها ثلاثون مليون دولار.. اتفضل انزل من الطيارة..

- لأ.. مش نازل.

أشارت بطرف عينها لواحد من رجال الأمن، لست أعرف بالضبط الطريقة التى أخرجونى بها من الطائرة بلا إصابات،

فجأة امتدت عدة أذرع والتفت حولى كالأخطبوط وانتزعتنى من مكانى ثم أنزلتنى من الطائرة. قالت لهم إيفا: هذا الرجل ضيف عندى.. سيتعرض للخطر إذا خرج إلى الشارع.. سأفصلكم جميعاً إذا تخطى هذه الأسوار.. باى باى ياحبيبى، ربما استطعت أن أتناول معك العشاء الليلة.

انطلقت بها السيارة مبتعدة على الفور. أمسك بى رجال الأمن بأدب ولكن بقوة، صرخت فيهم: اتركونى.. لم يهتز أحد لصرختى فصحت بهم:

not all the flesh of the birds could be eaten

فسألنى رئيس المجموعة بأدب: ماذا تعنى بهذه الجملة ياسيدى؟

حاولت أن أشرح له معنى هذا التعبير المصرى الشهير، مش كل الطير اللى يتاكل لحمه..

فأجابنى مندهشا: هل تعتقد أننا سنأكل لحمك ياسيدى؟

لم أرد عليه، دخلت إلى غرفتى وأغلقت خلفى الباب. أمسكت بالتليفون واتصلت بالسفارة المصرية لم أجد السفير، فطلبت الحديث مع الدكتور عبد العزيز حمودة ملحقنا الثقافى.

– ألو.. دكتور عبد العزيز..

عرف صوتى على الفور وصاح مرحباً بى بحرارة: أهلاً ياعلى.. أنت فين يا راجل؟

- دكتور حمودة.. اسمعني، أنا واقع في مشكلة حقيقية.. تعرف حد في البيت الأبيض؟

• حد زي مين؟

- أي حد قريب من الرئيس بوش، أو الكولونيل باول، أو وزير الدفاع تشيني.. أو حتى الجنرال شوارتسكوف؟

• أنت عارف إن كل صلاتنا بوزارة الخارجية بس.

- خلاص، أرجوك اتصل بوزير الخارجية.. أنا مقبوض على يادكتور حمودة.. معتقل..

• فين؟

- في لوس أنجلوس..

• مين اللي قبض عليك.. البوليس، والا المخابرات والا المباحث الفيدرالية؟

- اللي قبض علي..

في تلك اللحظة انقطعت المكالمة وأغلق الخط، حاولت الاتصال مرة أخرى ولكن الحرارة كانت مقطوعة.

لقد أحكم حولي الحصار.

القنصل

إذن أنا معتقل الآن فى هذا القصر وممنوع من الاتصال بأى شخص خارجه، انفلات الأعصاب لن يجدى وعلىّ أن أتصرف بأكبر قدر من الهدوء والتماسك، ضربت على باب الغرفة بقبضة يدى بكل ما أملك من قوة صائحاً: افتحولى.

على الفور فتح الباب، فوجئت بمجموعة كبيرة من العاملين فى القصر تقف أمامى فى أدب، قلت لهم فى هدوء: هل ممنوع علىّ مغادرة القصر؟

رد رئيسهم فى تهذيب: أنت ممنوع من التعرض للأخطار الموجودة فى الشارع الآن.

– أنا حر فى نفسى، أريد أن أتعرض لهذه الأخطار، وأنا على استعداد لكتابة تعهد لكم بذلك.

• أنت فى حمايتنا ياسيدى، وأنت لست حراً فى تعريض حياتك للخطر، لم تعد حياتك ملكاً لك وحدك.. أنت خطيب للسيدة التى نعمل عندها، والتى أصدرت إلينا الأوامر بحمايتك وستقوم بفصلنا إذا أهملنا القيام بواجبنا.. هل يرضيك أن تقطع عيشنا؟

– أريد التحدث مع القنصل المصرى فى لوس انجلوس.

• ماذا ستقول له؟

- نعم؟.. ماذا سأقول له؟ أنا حر يا أخى فيما أقوله له.

فى تلك اللحظة فوجئت بصوت إيڤا ينبعث من جهاز اللاسلكى الذى يحمله مسئول الأمن، اتضح أن الجهاز كان مفتوحاً طول الوقت وأنها كانت تستمع للحوار الدائر بيننا، لم تكن قد وصلت إلى مكتبها بعد، كانت تتكلم من الطائرة، قالت لى: على.. لاتسبب لى متاعب.. لا داعى للمزيد من الحماقات.. سأنهى موعدى مع جون روكفلر ثم أعود فوراً لنتناقش فى هدوء..

اقتربت من جهاز اللاسلكى وصحت فى عصبية: إيڤا.. لقد قطع أحدهم مكالمتى التليفونية مع ملحقنا الثقافى .. هذا تدخل فى حرية التعبير لا أسمح به مطلقا.

- اسمع.. أنت على وشك أن تتسبب لى فى كارثة، إذا تسرب خبر للصحافة أن مصرياً محتجز فى قصرى، من الممكن أن تنهار قيمة أسهمى وسنداتى فى بورصة نيويورك.. والله وحده يعلم ماذا سيكون تأثير ذلك على الاقتصاد الأمريكى.. اهدأ حتى أعود..

- سأهدأ.. ولكنى أريد التحدث مع القنصل المصرى فى لوس أنجلوس.

سكتت إيڤا للحظات ثم قالت: حسناً.. اطلبوا له القنصل المصرى.. واسمحوا له بالتحدث معه.

قلت في تحد: سأحدثه باللغة العربية.

ردت : أنت حر.. حدثه باللغة الهندية.. إن المكالمة التليفونية الآن مسموعة فى مكتب الترجمة الفورية الذى أتعامل معه.. سأعرف ماتقول حتى لو تكلمت بالإشارة.. ولكن أرجوك ياحبيبى.. لاتنس أننى أحبك.

غمغمت باللغة العربية بصوت غير مسموع: بلا حب .. بلا زفت..

طلبوا لى مكتب القنصل: ألو.. أنا فلان.. سعادة القنصل موجود؟

- نعم.. موجود.. ويتكلم معك الآن..

- سعادة القنصل أنا فى ورطة.

- نوعها إيه؟

- نوعها.. نوعها.. نوعها..

- بتتكلم منين؟

- من قصر إيڤا ترامب.

- مين؟.. تقصد إيڤا ترامب المليونيرة الحسناء؟

- نعم..

- إيه اللى وداك هناك؟

- نصيبى .. قدرى..

- مش فاهم..

• سعادة القنصل.. أرجوك اسمعنى.. أنا فى مشكلة حقيقية..

– أنا سامعك.. اتفضل اتكلم ..

في تلك اللحظة تدخلت إيفــا ترامب فى المكالمة وقــالت بالإنجليزية: سعادة القنصل أنا إيفا ترامب..

رد عليـها بحمـاس: أهلاً ياسـيدتـى.. من دواعى سـرورى أن تتحدثى إلىّ.. أرجو ألا يكون مواطنى قد سبب لك متاعب.. هل هناك أى مـشكلة ياسـيدتى؟ إننى على اسـتـعداد لأن أحلها لك فوراً.

– نعم.. هناك مشكلة.. مشكلة عاطفية.. أنا وصديقى الكاتب المسرحى المصرى على وشك أن نتزوج.

• نعم ياسيدتى؟.. على وشك أن تتزوجا..؟! هل الكلمة التى سمعتها الآن صحيحة.. تتزوجان؟

– نعم صـحيـحة.. وأنت تعرف أن المحبين تحدث بينهم عادة متاعب عاطفية. لقد منعته من مغادرة القصر لحمايته من الأخطار فى الشارع.. فتصور أننى اعتقلته..

وهنا قال القنصل معتذراً بجرارة: لنفرض انك اعتقلتيه.. حد طايل..؟ أنا آسف ياسيدتى أسف لكل ما سببه لك من متاعب.. وأنا أعلن اعتذارى لك باسمى وباسم حكومتى وباسم كل شعوب العالم الثالث.. تسمحى لى أتكلم معاه؟

قال لى صارخاً فى التليفون: إيه ياسيدى؟.. إيه ياخويا..

مزعل الست ليه؟ مش كفاية متاعبنا السياسية.. عاوز تعمل لنا متاعب غرامية مع الأمريكان كمان؟

صرخت فيه أنا الآخر: أنا معتقل ياسيادة القنصل.. وكنت أتصور أن تبدى بى اهتماما أكثر من ذلك.

فصاح: نعم ياخويا؟ معتقل فين.. فى الواحات؟.. عاوز تخرج الشارع عشان تروح فى داهية؟.. مش تحمد ربنا إنك لقيت حته تستخبى فيها فى الظروف المنيلة دى.. ياريت الواحد يلاقى حد يعتقله زى الست اللى معتقلاك دلوقت..

أنهيت المكالمة: سعادة القنصل، أنا أشكرك وأسف للإزعاج.

- ولا إزعـاج ولاحـاجـة.. يدى الحلق للى بلا ودان.. احنا قاعدين هنا بقى لنا سنين.. وماحدش اعتقلنا لا مليونيرة.. ولا حتى.. ألفيرة..

ثم قال بالإنجليزية: سيدتى... أنا آسف لما سببه لك مواطنى من إزعاج.. أرجوك إذا سبب لك المزيد من المتاعب أبلغينا على الفور، فنحن نعرف الوسائل التى تحوله لقط وديع.. أصل المثقفين دول مش وش نعمة.

ضحكت إيفا وشكرته بحرارة وقالت: لاتخش شيئاً.. الأنثى تستطيع أن تفعل بأى رجل ما تعجز عن فعله أى حكومة.. المشكلة ياسعادة القنصل أننى أحبه.

كان صوت القنصل ينضح بالحسد وهو يرد: تحبينه؟! هاها..

طبعاً.. طبعاً ياسيدتى.. هذا من سوء حظك.. آسف أقصد من حسن حظك.. هو شخص جدير بالحب فعلاً.. ومع ذلك ياسيدتى.. تأكدى أننا تحت أمرك.. إن مصر بلد عظيمة ياسيدتى.. وتستطيع أن تقدم لك كاتباً أفضل منه.. مع السلامة ياسيدتى.. أتمنى لكم حظاً سعيداً.

بعد ثلاث ساعات سمعت صوت الهليوكوبتر وهى تنزل في الحديقة، تعمدت أن أبقى فى غرفتى، جاءت إيڤا، قبلتنى قبلة سريعة أخوية على خدى، قلت لها: لاحظى ياسيدتى بأننا لم نتزوج بعد.. ليس من حقك أن تقبلينى..

– هى مجرد قبلة أخوية.

• ولا حتى أخوية.

– حاضر.. والآن لقد ألغيت كل مواعيدى.. قل لى.. لماذا أنت غاضب منى؟

انفجرت فيها، قلت لها محاضرة طويلة عن حرية الانسان، وعن مكانة الرجل، استمعت إلىّ صامتة ثم قالت برقة: أنا أفضل أن نتناقش فى حمام السباحة.

فى حمام السباحة، مرت على لحظات تمنيت فيها أن أظل معتقلاً فى هذا القصر إلى الأبد. أفقت من أحلامى على صوتها تقول: القنصل الآن يكتب تقريرا بما حدث إلى السفارة المصرية، صورة من هذا التقرير ستصل إلى الخارجية المصرية، والأمن القومى والمباحث، ومجلس الشورى، صحافة العالم كله ستنشر

حكايتنا فى صباح الغد.

كانت على حق فى استنتاجاتها، بعد ساعتين بدأت تصلنا بالفاكس رسائل من العالم كله فيها قصاصات صحف تحكى حكايتنا بعد إضافة بعض التحابيش. من حسن حظى أن الصحافة المصرية لم تنشر عن الموضوع حرفاً واحداً، والمجلة الوحيدة التى نشرت الخبر نشرت صورة إيفا ترامب وبجوارها شخص من مجاهدى أفغانستان قالت إن اسمه عليان سالميار.

القلق

فقدت إرادتي تماماً، بل أن عقلي لم يعد يسعفني في مناقشة إيفا في أى قرار تتخذه، وبعد أن انتهت أحداث لوس انجلوس وأصبح الطريق إلى المطار آمناً، قالت لي: ما رأيك في أن نطير إلى القاهرة غداً.

فأجبت: اللى تشوفيه ياحبيبتي.

- أم لعالك تفضل..

- أفضل ما تفضلينه ياروحي.

بما بقى لى من قدرة على التفكير حاولت جاهداً أن أتعرف على ما حدث لى، كنت أشبه بأحد أبطال ألف ليلة وليلة الذى سحرته إحدى الجنيات. ماذا فعلت إيفا لتستولى علّى؟ هل وضعت لى مادة غريبة فى الطعام أو الشراب؟ هل قامت بتنويمى مغناطيسياً بطريقة ما؟ أم هو جو القصر الفخم وجو الثراء وانعدام الجهد فى البحث عن الرزق.

لم أعد أقوم بأى عمل منذ أن عرفت هذه السيدة، لم أعد أكتب، حتى القراءة أصبحت أمارسها بشكل مختلف، أفتح الكتاب وأحدق فى السطور فتنزلق الحروف فوق مخى دون أن تترك فى عقلى أثراً.

كنت أتناول معها طعام العشاء على ضوء الشموع فى قاعة الطعام الرئيسية بينما أحد العازفين يقوم بعزف لحن هادئ على البيانو فى ركن بعيد. استيقظت من تأملاتى على صوتها تقول: مالك؟

- لا شئ..

• هل تفكر فى لا شئ؟

- بصراحة أنا عاجز عن التفكير فى شئ محدد.

حتى الطعام الذى كان يقدمه رئيس الطهاة الفرنسى كان له طعم الماء الفاتر فى فمى، كنت أفكر فى زوجتى وبناتى، ماذا سأقول لهن؟ إن الإنسان فى حاجة لقدر هائل من الصفاقة والتوحش لكى يفاتح زوجته فى موضوع مثل هذا. لابد من كذبة كبيرة، كذبة محبوكة تجعل زوجتى توافق على زواجى من إيڤا، بل وتتحمس له.

بدأت أتخيل حفل زواجى من إيڤا بينما زوجتى تقف فى الفرح ترحب بالمدعوين، إنها بذلك تعطى أروع المثل على احترام المرأة المصرية لحقوق الإنسان.

ولكن، هل الزوج إنسان يتمتع بميثاق حقوق الإنسان؟

الزوج، أى زوج، مثل الجندى فى المعركة، تقول له زوجته إفعل كذا فيفعل كذا على الفور. وعندما يعصى أوامرها فلابد من تقديمه -مثل أى جندى- للمحاكمة، أما عندما يذهب الجندى

مسلماً نفسه للأعداء، أى لامرأة أخرى فلابد أن يحاكم بتهمة الخيانة العظمى ويحكم عليه بالإعدام.

فى تلك اللحظة ارتسمت فى خيالى، صورة كئيبة لعدد كبير من أكياس البلاستيك، وزنى يتعدى المائة كيلو جرام، فى الغالب ستحتاج زوجتى إلى أكثر من مائتى كيس، هذا إذا اكتفت بوضع نصف كيلو فقط فى الكيس، وهو الوزن القانونى فى مثل تلك الأحوال، ياللمسكينة، ستظل تعمل طول الليل، من يدرى قد تستعين بصديقة من الجيران.

بدأت أتخيل زوجتى وهى تقود سيارتنا القديمة ومعها الأكياس، تقوم بتوزيعها فى مناطق الأطراف فى العاصمة.

شعرت برعدة تسرى فى أوصالى، طردت بصعوبة تلك الصورة المفزعة من عقلى، ماذا أفعل؟ هل أتراجع؟ نعم؟ أتراجع؟!!

كم رجلاً فوق الأرض تسنح له الفرصة للزواج من حسناء بهذا الجمال وهذه الثروة ثم يرفض ويتراجع؟ بأى وجه أقابل أصدقائى؟ ماذا ستقول عنى جرائد المعارضة؟

سأقضى ما بقى من عمرى مكتئباً نادماً سوداوى المزاج. لن أصلح لشئ، سأتحول لشبح إنسان.. لن يصدق أحد أن تراجعى تم بسبب يقظة ضميرى أو استقامتى، بل لأسباب أخرى سيعيدون فيها ويزيدون وتحاصرنى الأشاعات...

والوظيفة؟! وظيفة مستشار بمليونى دولار شهرياً، هل أضحى

بها هى الأخرى، مرة أخرى انتشلنى صوت إيڤا من أفكارى: مالك.. دمك ثقيل.

- أنا خائف يا إيڤا.

• أعرف أنك خائف من زوجتك وهذا أمر طبيعى، كل الأزواج يشعرون بالرعب من زوجاتهم ومع ذلك استمع لكلامى جيداً وصدقنى.. زوجتك سترحب بزواجك منى..

- ماذا تقولين؟ سترحب؟

• نعم.. سترحب.. لمليون سبب، سأشرحها لك فيما بعد.. لا تهتم كثيراً بما سيحدث.. سيحدث كل خير بإذن الله، لأننى أريد لك الخير، وزوجتك طبعاً تريد لك الخير.. وأنت تريد لها الخير، كل منا يريد الخير للآخر.. يعنى هناك وحدة هدف بيننا جميعاً.. وهذا يسهل التفاوض، تصبح على خير.

فى تلك الليلة نمت نوماً متقطعاً تتخلله الكوابيس، استيقظت عدة مرات وفى كل مرة كنت أنظر فى الساعة فاكتشف أننى نمت عدة دقائق. وفى الصباح الباكر انطلقنا إلى المطار، دخلنا إلى أرض المطار مباشرة، كان عمدة لوس انجلوس فى وداعنا، اصطف كل مديرى الأقسام فى شركات إيڤا يودعوننا، رجال الأمن التابعون لإيڤا قاموا بعملية تأمين شاملة للمطار والشوارع المؤديه إليه. اكتشفوا عدة مصورين صحفيين مختبئين فى عدة أماكن فأشبعوهم ضرباً ودمروا كاميراتهم. وبعد صعودنا إلى الطائرة البوينج الخاصة، حلقت على الفور.

كانت المرة الأولى فى حياتى التى أركب فيها طائرة مجهزة لرجل أعمال. قد تتصور أنى أتكلم عن وسائل الراحة، الواقع أنها مجهزة بكل وسائل التعب، أقصد العمل، أجهزة الفاكس، كمبيوتر، لاسلكى... وأجهزة أخرى لا أعرف أسمها .. قالت إيڤا: اسمح لى أن أنشغل عنك قليلاً سأعقد اجتماعاً لمديرى الفروع فى الشركة.

نظرت حولى فوجدت اثنين من أفراد الأمن وسكرتيرة خاصة: أين هؤلاء المديرون؟

ضحكت إيڤا وقالت: ستراهم حالاً.

على شاشة كبيرة، بدأت تظهر صور مديرى فروع شركات إيڤا فى كل أنحاء الأرض، بدأوا يتناقشون ويحسمون أموراً ويتخذون القرارات، كانت القرارات تظهر على شاشة الكمبيوتر فيتم تخزينها ثم تظهر على الأوراق خارجة من أجهزة الفاكس، عند ذلك توقعها إيڤا وترسلها على الفاكس مرة أخرى إلى المركز الرئيسى. وهكذا، فوق السحاب فى الطريق من لوس انجلوس إلى القاهرة لم تمر دقيقة واحدة فى غير العمل واتخاذ القرارات. الوقت هو الثروة الوحيدة على الأرض.. وهؤلاء الذين يضيع منهم الوقت، يضيع معه شرفهم الإنسانى.

منظر إيڤا وهى منهمكة فى العمل تناقش فى هدوء ورقة وتتخذ القرارات فى حزم جعلنى أتعلق بها أكثر، ولكن هل أنا حقاً أحبك يا إيڤا.. أم أنك الرمز لما أحبه..

الجمـال، الثـروة، العمل، روح العـصـر، التـقـدم، التكنولوجـيـا، الحـرية.. يبدو أن كل هذه العناصـر تحـولت لكائن بشـرى.. أنثى اسمها إيڤا.

الـ
WARAWER

فى الطائرة البونيج الخاصة تركت إيڤا تعمل فى مكتبها الفضائى وانسحبت أنا إلى ركن وثير فى الطائرة، أحضرت السكرتيرة التى تحولت إلى مضيفة، صينية عليها بعض الأطعمة والمشروبات فاعتذرت لها بأدب فلم أكن أشعر برغبة في تناول أى شئ. استسلمت للنوم على صوت أزيز المحركات الهامس واستيقظت فجأة على صوت إيڤا وهى تقول: صوت شخيرك يكاد يفسد الدوائر الاليكترونية في الطائرة هل تتصور أن الطيار ظن فى البداية أن خللاً أصاب محركات الطائرة.. بل أنه كان على وشك أن يتخذ قراراً بالهبوط الاضطرارى.. هل تشخر هكذا دائماً؟

– أعتقد أنك تبالغين.. أنا أشخر أحياناً أثناء نومى عندما أكون مجهداً، ولكنى لا أعتقد أن صوت شخيرى بهذه الفظاعة.

- حسناً.. اسمع هذا التسجيل.

قالت ذلك وأدارت شريط تسجيل صغيرا، وعلى الفور استمعت من خلال سماعات الطائرة القوية.. إلى صوت أشبه بكراكة كبيرة تحفر فى جبل من الجرانيت فى إيقاعات تثير الفزع. شعرت بالخجل وقلت لها: حسناً.. والآن، هل تتراجعين فى قرارك بالزواج منى؟

- لماذا..؟ لن أنام معك فى غرفة واحدة، وسأعطى أوامرى بتجهيز غرفتك بعوازل قوية للصوت.. خذ راحتك.

استلقت إيڤا بجوارى على المقعد المجاور وأغمضت عينيها.

- هل سننزل باريس؟

• لأ.. سننزل فى مطار "أورلى" فقط من أجل تموين الطائرة.. آه.. تعنى أننا سننزل باريس لشراء ملابس وهدايا.. لقد أصدرت الأوامر لوكيلى فى فرنسا لشراء كل شئ وإرساله إلى القاهرة مباشرة.. فى الغالب هى هناك الآن.. وعلى فكرة، لدى اجتماع فى قبرص الليلة مع مسئولين فى الحكومة القبرصية، وأنا أقترح عليك أن تستقل طائرة من قبرص إلى القاهرة.

- وحدى؟

• نعم وحدك.. من الأفضل أن تسبقنى إلى هناك.. ستجدنى فى القاهرة صباحاً.. الفرصة الوحيدة المتاحة لك هى أن تفاتح زوجتك فى الموضوع الليلة.. إذا عجزت عن ذلك سأفاتحها أنا غداً.. موافق؟

- لا أعتقد أن موافقتى لها أهمية، أنت تسألينى من باب الأدب فقط، أو المجاملة.. أنت كارثة ياسيدتى.. مثل البراكين والزلازل والأحداث السياسية التى لا يتوقعها أحد.. بصراحة أنا أشعر أننى وقعت فى فخ كبير.. وأشعر بلذة خاصة فى أن أظل أسيراً لهذا الفخ لأعرف خاتمة هذا الفيلم الجميل المخيف.

ضحكت إيڤا واقتربت منى. سكتت لحظة ثم سألتنى بطريقة جادة: ماذا تعرف عن الفجل؟

– ماذا؟ الفجل؟!.. تقصدين ذلك النبات الذى نأكله فى مصر ذا الرأس الأبيض والأوراق العريضة الخضراء.

• نعم.. هو.. ماذا تعرف عنه؟

– نأكله ياسيدتى.. نأكله أحياناً مع السمك البورى المشوى بالذات والمقلى والصيادية ونأكله أيضاً مع كل الأكلات الشعبية.

• السؤال هو.. ماذا تعرف عنه؟

– أعرف أنه يسبب بعض الروائح غير المستحبة.

مدت يدها وتناولت ملفاً مكتوباً عليه "سرى للغاية" وقالت: نعم.. هذا مكتوب فى الملف.. ولكن هذه آثار جانبية لا أهمية لها ومن الممكن التخلص منه بإضافة النعناع.. أو أية مواد أخرى.. أخطر ما فى الفجل ياعزيزى أنه يخفض السكر فى الدم بنسبة تصل إلى ثلاثين فى المائة.. هو بشكل أو آخر معالج لمرض السكر..

– إيڤا.. هل تخططين لصنع دواء جديد من الفجل؟

• لا ليس دواء.. ولكن مشروعاً آخر.. انتظر قليلاً حتى ينتهى الخبراء من عمل دراسة الجدوى..

اختلست نظرة إلى الملف فلمحت بطرف عينى الحروف الإنجليزية المكتوبة عليه: WARAWER ماذا تريد هذه المرأة

أن تفعل؟.. هل ستحرمنا من الفجل؟.. ماذا يتبقى لنا؟

تذكرت فى تلك اللحظة ما سبق أن قاله لى صديقى المهندس يحيى زيدان، هذه المرأة لا تحبنى ولا يحزنون، هى داخلة فى مشروع تجارى كبير، من يدرى؟! أليس من الممكن أن تصنع دواء جديداً لمرض السكر من الفجل؟.. هذا معناه أنها ستشترى حزمة الفجل بقرش صاغ واحد بسعر الجملة وتحولها إلى دواء جديد تبيعه بعشرة دولارات على الأقل. هذا مشروع يكسب مئات الملايين من الدولارات فى الشهر الواحد، وزواجها منى يحقق لها حملة دعاية فى جرائد المنطقة ومجلاتها لا تقل تكلفتها عن عشرة مليون دولار، مئات الصفحات ستكتب ومئات الصور ستنشر عن المليونيرة التى تقمصتها روح مارلين مونرو، والتى وقعت فى غرام الكاتب المسرحى المصرى، دون أن يتنبه أحد إلى أنه يقوم بالدعاية لمشروع تجارى هائل الحجم.

وفى مقابل هذه المئات الملايين من الدولارات التى ستدخل جيبها، سأحصل أنا على اثنين مليون دولار فقط.. هه.. ها ها.. وكأننى منادى سيارات.. وكأننى فراش.. وكأننى ساعى فى مكتبها.. لأ يا هانم.. لقد سئمت الفقر.. سئمت القروش والملاليم.. من حقى أن أتمتع أنا أيضاً بمئات الملايين.. لأ.. لا داعى للطمع.. بلاش مئات الملايين.. عشرات الملايين، طب بلاش.. خليهم خمسات الملايين.. إذا لم توافق هذه السيدة على أن أكون شريكاً فى هذا المشروع فعلى الأقل ترفع مرتبى ليكون خمسة ملايين دولار شهرياً.. وأرجوك ياسيدتى، لا تنسى أمراً هاماً.. هذا فجل

بلادى من المستحيل أن ينمو بهذه المواصفات إلا فى تربة بلادى..

فى تلك اللحظة بدأت أفكر فى الخطبة البليغة التى سأقولها لها إذا لم توافق على طلباتى... لأ يا سيدتى.. لا وألف لا.. الموت خير لى من الاشتراك فى هذا المشروع... هذا الوادى العظيم.. هذه الأرض الطيبة التى أنتجت هذا الفجل الأخضر الجميل.. المغذى.. المعالج.. الفاتح للشهية.. كل ذلك يصرخ فىّ أرفض.. لا تقبل.. هذه خيانة.. عظام أجدادى تتألم فى القبور وتستمطر اللعنات على رأسى.. لقد مرت الآف السنين وهذا النبات يرصع موائد الفقراء.. أقصد "طبالى" الفقراء.. وتأتين أنت يا أبنة الغرب الطاغى المستغل لتحرميهم منه.. أنت تبدأين بالفجل.. بعد ذلك يأتى الدور على الجرجيرالذى كانوا يزرعونه تحت السرير.. ثم بعد ذلك الكرات.. حتى يصل الأمر إلى المش.. لا ياسيدتى.. ابحثى عن شخص آخر.. أو أرفعى مرتبى، عاوز خمسة ملايين دولار شهرياً.

عند ذلك الحد من السرحان قلت لنفسى: اعقل.. خد الاثنين مليون دولار شهرياً واسكت.. ماتعملش فيها حدق وذكى ماتضيعش نفسك.. هى قادرة بعشر هذا المبلغ على الحصول على كل الموافقات المطلوبة من الجن الأزرق ثم تنفذ مشروعها بعيداً عنك.. اعقل..

• • •

فى مطار قبرص وجدت هناك طائرة على وشك الإقلاع إلى القاهرة فركبتها مهموماً.. أشرت لإيفا محيياً من نافذة الطائرة.

أخذت أتأمل السحب التى تتجمع تحت الطائرة.. كنت أشعر بوحدة موحشة، فى مطار القاهرة كانت زوجتى وبناتى الثلاثة فى انتظارى، كيف عرفن بموعد وصولى؟

مع زوجتي وجها لوجه

تمت إجـراءات خـروجي من المطار فى دقائق، توجهت إلى السوق الحرة لأشترى بعض الهـدايا ولكنى تراجـعت فى اللحظة الأخيرة عندما اكتشفت أننى لا أملك دولاراً واحـداً وبالتـأكـيد كان منظرى غريبـاً وأنا أخرج من المطارومعي حقيبة واحدة صغيرة

استقبلتنى زوجتى وبناتى بفرحة كبيرة ضاعفت من أحزانى، تلك المخلوقـات الرقيقة الضعـيفة التى تحبنى أكثر من أى شئ على الأرض، كـيف سـأواجـهـهن بهـذا النبـأ المؤلم. فى مـوقف السيارات المواجه للمطار أدرت عينى باحثاً عن سيارتى "النيڤا" الخضراء القديمة فلم أجدها، سألت زوجتى: راكنين فين؟

أجابت: هنا..

قالت ذلك وأشـارت إلى سيارة يابانية صالون فـخمـة موديل ١٩٩٢. ابتسمت للنكتة ابتسامة باهتة، ولكنى فوجئت بها تفتح السيارة وتناولنى المفاتيح، كانت المفاتيح معلقة فى سلسة ذهبية، لابد أنـهـا سـيـارة واحـد من أصـدقـائي.. أصـدقـائى؟! إن كل أصدقـائى من الأدباء والمثقفين ليست لديهم تلك السيـارة، وحتى هؤلاء الذين يفتـحـها عليهم ربنا، يبتـعدون عنى تدريجياً وتتـحـول صداقتنا إلى ذكريات قديمة، سألت زوجتي: سيارة من هذه؟

أجـابت ابنتى الصـغـرى ضـاحكة: لقـيناها فى الشـارع قـدام

البيت، سألنا.. عربية مين دى؟ فلم يظهر لها صاحب، قلنا نركبها إلى أن يسأل أحد عنها.

قالت زوجتى: بالطبع أنت لم تتصور أننا سنتسلمها بهذه السرعة، الواقع أن الراجل صاحب الأجنس طلع ابن حلال.. كان المفروض أن يسلمها لنا الأسبوع القادم، ولكنه اتصل بنا بالأمس صباحاً وأرسل معي أحد موظفيه للشهر العقارى وإدارة المرور لإنهاء اجراءات البيع واستخراج الرخصة، استخرجت الرخصة باسمى كما طلبت أنت.

- كما طلبت أنا؟

• نعم، هذا ما أبلغتنا به فى التليفون السيدة "باربرا".. قالت إنك حولت المبلغ ثمن السيارة لصاحب الأجنس، وأرسلت لنا الهدايا التى شحنتها، وأعطتنى المبلغ الذى خصصته لفرش الفيللا الجديدة فى قرية "مارابيلا" السياحية.. مع أنك تعلم أننى أريد عشة فى رأس البر..

صرخت: نعم؟!

توقفت بالسيارة على جانب الطريق وقلت لهم: اسمعوا.. لن أتحرك بهذه السيارة خطوة واحدة إلا بعد أن أعرف تفاصيل كل ما حدث فصاحت زوجتى غاضبة: أنت تتكلم كما لو كنت لا تعرف شيئاً عن الموضوع.

- لأ.. لست أعرف شيئاً عن الموضوع..

قالت أبنتى الكبرى: حسناً، إطلع يابابا.. سنحكى لك فى الطريق.

استأنفت قيادة السيارة بذهول بينما أنا أستمع للتفاصيل: اتصلت بنا سيدة تتكلم العربية بلكنة أجنبية وقالت أنها مندوبة شركة إيڤا ترامب لنشر الأدب العربى.. أبلغتنا أنك موجود فى لوس انجلوس وأنك عاجز عن الاتصال بنا تليفونياً بسبب أحداث لوس انجلوس.. حدث ذلك من عشرة أيام.. قالت أن الله قد فتحها عليك فى أمريكا.. وأن الكتاب الأول الذى يضم مجموعة مسرحياتك قد اكتسح السوق، وأنك قبضت مبلغاً كبيراً تخشى أن تنفقه هناك، ثم طلبت منا الاتصال برقم تليفون أحد أصحاب توكيلات السيارات فأعطانا هذه السيارة، وقال إنك سددت ثمنها، كما اتصلت بنا شركة للإسكان والتعمير وأبلغتنا بأنك سددت لهم ثمن ڤيللا فى قرية "مارابيلا" السياحية وطلبوا منا أن نستلمها..

– واستلمتوها؟

• نعم..

– وماذا فعلتم بالفلوس الكاش؟

• أنت تعرف إذن الحكاية كلها، فلماذا هذه الحركات؟ ..المبلغ الكاش اشتريت به شهادات استثمار طبقاً لتعليماتك.

– ذكرينى بالمبلغ فقد نسيته؟

• نسيته؟

- نعم.. نسيته من كثرة الفلوس، لست أذكر هل كان خمسين ألف أم سبعين.. وهل كان بالدولارات أم بالجنيه المصرى؟

• كان المبلغ مائة وعشرين ألف دولار.

- آه تذكرت الآن..

• لماذا إذن هذه التمثيلية، لماذا ادعيت أنك لا تعرف شيئاً عن الموضوع؟

- كنت بامتحنكم.. لقد عرضتكم لاختيار فشلتم فيه.. إذا جاءكم أحد النصابين وقال لكم بابا يبلغكم كذا وكذا.. هل تصدقونه..؟

• نصدقه إذا أعطانا سيارة وفيللا فى قرية سياحية ومائة وعشرين ألف دولار.. ماذا يدعونا للشك فيه؟

- لا شئ.

عندما وصلنا إلى البيت لاحظت على الفور التغييرات التى حدثت أثناء غيابى، كانت آثار النعمة بادية بوضوح، أجهزة جديدة للتكييف من نوع ثمين، ستائر فخمة، صالون جديد.. حمام جديد الخ.

لقد لعبت إيفا ترامب لعبتها ببراعة، قررت أن تستولى على الموقع من داخله.

سألت زوجتى: هل تعتقدين أن هناك كتاباً لكاتب مسرحى يأتى بهذه الثروة؟

– نعم.. محمد حسنين هيكل.. هل أنت أقل منه؟

• نعم.. أنا أقل منه بكثير..

– من أين أتيت بهذه الفلوس إذن؟

• لم آت بهذه الفلوس أو غيرها.. اسمعي يازوجتي العزيزة نحن في ورطة، مشكلة حقيقية، هذه المشكلة لن يحلها الصياح والصراخ والبكاء.. لا توجد شركة باسم "إيڤا ترامب لنشر الأدب العربي".. وأنا لم أكسب مليماً واحداً في أمريكا.. الحكاية ببساطة أن هذه الأمريكية المليونيرة تريد أن أتزوجها..

صمتت لحظات ثم تساءلت بهدوء: هل هي أجمل مني؟

قلت بسرعة وحسم: لأ طبعاً.. هي عجوز حيزبون تمتلك ٣,٥ مليار دولار.. وتريدني أن أعمل مستشاراً لها باتنين مليون دولار شهرياً..

مرة أخرى عادت تقول بنفس الهدوء: أنت حر، تعمل عند من تشاء، أنا لا أتدخل في عملك.. بالإضافة لحقك الشرعي في أن تكون لك زوجة ثانية.. السؤال هو.. هل تريد أنت أن تتزوجها؟

ترددت في الاجابة فصاحت: انطق هل تريد أن تتزوجها؟

بالأحضان

كان السؤال الذى وجهته لى زوجتى واضحاً ومحدداً: انطق.. هل تريد أن تتزوجها؟ الواقع أن السؤال كان منطقياً بل ومهذباً جداً فى مثل هذا الظرف بغض النظر عن استخدام كلمة "انطق" التي أرى أن الدافع إليها كان الغضب فقط ولكن لفت انتباهى بشدة قولها "أعرف أن الشرع يعطيك الحق فى أن تتزوج من زوجة أخرى" هل كانت بهذه الجملة تشجعنى على الاستمرار فى المشروع؟ خاصة بعد أن قلت لها أن إيڤا عجوز حيزبون.

ماذا سيكون رد فعلها عندما ترى إيڤا بالمصادفة وتكتشف أننى كذبت عليها؟ ولكنى لم أجب عن سؤالهابعد: هل تريد أن تتزوجها؟

أجبت: لأ.. والله العظيم لا أريد أن أتزوجها.

كان من السهل عليها أن تكتشف أننى أكذب وذلك من شدة الصدق الذى قلت به هذه الجملة، فقالت بهدوء: أين المشكلة إذن؟ أنا أرى أنه لا توجد أى مشكلة، تستطيع أن تعتذر لها بكل لطف ويا دار ما دخلك شر، إلا إذا كنت قد وعدتها بالزواج، واجب الرجولة والشرف فى هذه الحالة يقضيان بأن تتزوجها.

- لم أعدها بشئ.

• لعلك غازلتها فقهمت من ذلك أنك تريد أن تتزوجها.

– لم أغازلها، أنها تتصور نفسها مارلين مونرو.. وتتصورنى آرثر ميللر.

• كيف تتصور نفسها مارلين مونرو بينما تقول أنت أنها عجوز شمطاء.

– مجرد تصورات ياستى.. هى تتصور ذلك، ولكنها ليست كذلك.

• هل معك صورة فوتوغرافية لها؟

– لأ طبعاً.. ولماذا أحمل معى صورة لها.

فى تلك اللحظة طرقت ابنتى الباب، عندما فتحت الباب فوجئت بها تمد يدها بمجلة أمريكية كانت فى حقيبتى، كانت صورة إيفا على الغلاف: صورتها أهى ياماما..

قالت البنت الشريرة جملتها وانصرفت على الفور بعد أن أغلقت خلفها الباب. بهدوء شديد تأملت زوجتى صورة إيفا وتصفحت المجلة لتقرأ الموضوع المكتوب عنها وعنى، كانت هناك عدة صور لى معها فى حديقة القصر حول حمام السباحة. كثيرون من البشر يكذبون فى هذه الدنيا ولا تنكشف أكاذيبهم إلا بعد عدة أعوام، أو لا تنكشف أبداً، بل إن كثيراً من الرجال يتزوجون على زوجاتهم ويظل الأمر سراً لا ينكشف إلى أن يموتوا ولكنى أنا بالذات لابد أن تنكشف أكاذيبى على زوجتى بعد ثوان.

قالت: هى ليست كبيرة فى السن كما حاولت أن تفهمنى، على العكس من ذلك ملامح وجهها تؤكد أنها سيدة طيبة ومتربية وبنت ناس.. ولكن دعنى أسألك كيف سمحت لنفسك بارتداء المايوه أمامها؟

- كنت أعوم وحدى فى حمام السباحة وفوجئت بها تأتى ومعها المصور الفوتوغرافى.. أقسم لك أننى ارتديت ملابسى بعدها مباشرة.

صمتت لحظات وقد انهمكت فى قراء الموضوع، المسكينة، لابد أنها تتعذب بشكل لا يمكن وصفه، قالت فجأة وهى متمالكة تماماً لأعصابها: آه.. أنت تعمل مستشاراً عندها لشئون الشرق الأوسط.

- لأ.. لم أتعاقد معها بعد لشغل هذه الوظيفة.

• وهل يتعاقد الرجل مع زوجته؟

صحت بغضب: ليست زوجتى، ولا أريد أن أتزوجها.

- أنت تقول ذلك لكى ترضينى، لا داعى للتمثيل والنفاق، قلت لك هذا الأمر من حقك.. كم سيكون مرتبك فى الشهر؟

• اتنين مليون دولار.

- بس؟

• نعم، بس، ولكن بعد أن أعرف طبيعة العمل سأطالب بزيادة طبعاً.

– هل هذه الوظيفة مرتبطة بالزواج منها؟.. بوضوح أكثر، هل من المحتم أن تتزوجها لكى تحتل هذا المنصب بهذا المرتب؟

• ماذا تقصدين..؟ هل تقصدين أننى سأتزوجها من أجل المرتب، هل تعرفين أننى أقبل رشوة من أحد؟

– أعوذ بالله.. لا داعى للانفعال.. فكر معى بهدوء ولا تفقد أعصابك.. أنت دائماً تفقد أعصابك عندما ترتكب حماقة.. السؤال هو، هل من الممكن ألا تتزوجها وأن تعمل عندها فقط.. بمرتب أقل، ليكن مثلاً عشرة آلاف دولار شهرياً؟

• ولماذا أحصل على مرتب أقل بينما فى مقدورى أن أحصل على مرتب أكبر؟

– أنت حر فى المرتب الذى تريد الحصول عليه، ولكن لندرس الموضوع معا كأصدقاء، وليس كزوج وزوجة.. أنت تعرف أننى أحبك وأريد مصلحتك، هل فكرت فى الأخطار التى ستتعرض لها بعدم زواجك منها؟

• أخطار؟.. ماذا تقصدين؟

– دعنى اكلمك بصراحة.. لقد زارتنى بالأمس زوجة مسئول كبير يعمل فى جهاز أمن حساس وأخبرتنى بالقصة كلها، بما فى ذلك الأجزاء التى اخفيتها عنى والاجزاء التى لا تعرفها، هذه السيدة "إيڤا" لها علاقة مريبة بالمافيا العالمية، كما أنها على صلة ببعض أعضاء الكونجرس من ذوى النفوذ، ولها نفوذ داخل الإدارة الأمريكية، أى خطوة غير محسوبة منك قد تعرضك

للخطر، بل وتعرض المنطقة كلها لمتاعب هى فى غنى عنها.. لابد أن نصل لقرار فى هذا الموضوع بحيث لا نثير غضب إيڤا..

آه.. لقد تمكنت إيڤا من تجنيد زوجتى أيضاً، يقولون أن أخطر سلاح على الأرض هو الصواريخ التى تحمل رؤوسا نووية، وأنا أقول إن أخطر سلاح على الأرض هو الفلوس. سألتها فى استسلام: بماذا تنصحيننى؟

– لا أنصحك بشئ، يجب أن يكون القرار نابعا من ذاتك.. ولكن فى كل الأحوال أنا أنصحك أن تقبض مرتبك منها بالأسبوع وليس بالشهر، بالإضافة لشهر مقدم قبل أن تبدأ العمل.

• ماذا تقصدين بكلمة العمل هنا.. العمل كزوج أو العمل كمستشار..

– كلاهما..

فى تلك اللحظة دق جرس باب الشقة، خرجت لأفتح ، نظرت فى العين السحرية كانت إيڤا ترامب، نزلت علىّ صاعقة، شعرت بكل اعضائى تكاد تنخلع من بعضها البعض، جلست على أقرب مقعد، عندما جاءت زوجتى، هالها اصفرار وجهى والعرق الغزير الذى كان يتصبب من جسمى، سألتنى: مالك.. من جاء؟

أجبتها هامساً وأنا أكاد أموت: إيڤا ترامب.

تهللت أسارير وجهها بالفرحة وفتحت الباب وهى تصيح

بتـرحيب: أهـلاً يـا إيڤـا.. أهلاً يـا حـبـيـبـتى.. قـال ذلك وتلقـتـهـا بالأحـضـان والقبل.. كانت طرقعات القبل بين الاثنتين لهـا صـوت القنابل فى أذنى.

المـزاد

كنت أجلس فى غرفتى وكانتا فى غرفة الصالون والحوار بينهما يصل إلى أذنى بوضوح فيما عدا بضع كلمات خافتة لا تمنعنى من الإحاطة بما تقولان.

إيڤا: أنا سعيدة برؤيتك.. لم أكن أتصور أنك بهذا الجمال.

- وأنا أيضاً..

إيڤا: آسفة، إذا كنت قد جئت بلا موعد سابق.

- بيتك ومطرحك يا حبيبتى.. تستطيعين القدوم فى أي وقت.

إيڤا: هل صارحك زوجك بالـ..

- نعم.

إيڤا: وهل توافقين؟

وهنا بدأت زوجتى تقول كلاما غريباً لم أكن أتصور أن يصدر عنها. قالت: اسمعي يا إيڤا.. لنكن صرحاء، أنا أحب زوجى، ولدينا أغنية تقول، حبيتك وباحبك وأحب اللي يحبك، ولذلك أنا أحبك أيضاً لأنك تحبين زوجى.

إيڤا: لا يا سيدتى.. لست أحب زوجك، أنا أريد أن أتزوجه فقط لأسباب خاصة جداً..

- وماله أنا فلاحة مصرية، ومن المعروف أن الفلاحة المصرية عندما يريد زوجها أن يتزوج من غيرها، فإنها هى نفسها التى

كانت تقوم باختيار الزوجة الجديدة.

إيڤا: هل أفهم من ذلك أنك تريدين أن تتخلصى منه.

• أعوذ بالله.. من قال ذلك؟.. كلانا ستكون على ذمته طبعاً.. أليس كذلك؟

إيڤا: طبعاً.. هل أفهم من ذلك أنك توافقين..؟

• طبعاً أوافق، بشرط واحد، العدل، أن يعدل بيننا، من حق الزوجة القديمة أن تعيش فى نفس المستوى الذى تعيشه الجديدة.

إيڤا: ماذا تقصدين..؟

• كلك نظر يا إيڤا..

إيڤا: ولكنه لن يكون مسئولا عن إعاشتى، والمستوى الذى أعيشه ليس له صلة بزوجك.. مستوى الحياة التى أحياها يعود إلى ثروتى.

• وهل أصبح هناك الآن شئ اسمه ثروتك وثروتى يا عزيزتى إيڤا.. لقد أصبحنا الآن أسرة واحدة واسمحى لى أن أنبهك لنقطة قد تكون قد غابت عن بالك.. هل تعرفين كم يساوى زوجى فى مصر؟

وهنا تساءلت إيڤا بهدوء: أنا سيدة أعمال ياسيدتى، ويهمنى التعرف على سعر السلعة التى أحصل عليها.. كم تقدرين ثمناً لزوجك فى مصر؟

وهنا قالت زوجتى بثقة وفخر: من الواضح أنك لم تقرأى حرفاً واحداً لزوجى، ولم تشاهدى له مسرحية واحدة.. زوجى ياسيدتى

هو موليير، هو ڤولتير، هو مارك توين، هو سقراط وأفلاطون.

إيڤا: أخشى أن ثروتى كلها لن تكفى ثمنا لزوجك، بمعنى أصح ثمنا لنصفه ولكنى ألاحظ أنك لم تحدثينى عنه كزوج.. كم تبلغ قيمته كزوج.

- عادى جداً مثل أى زوج آخر.. مائة دولار على أفضل تقدير، أنا أحدثك عن سعره طبقاً للبعد القومى، أحدثك عن سعره طبقاً لتأثيره فى الشعب المصرى والشعب العربى.. ومع ذلك لندخل فى المشروع مباشرة.. عاوزه تدفعى كام؟

إيڤا: عندى خبراء متخصصون فى تقييم الأصول لابد أن أرجع لهم، إن كل معاملاتى التجارية تتم على أساس علمى.

- خلاص.. عندما يتم ذلك، نواصل الحوار.. ولكن ذلك لا يمنع بالطبع من التفكير فى عربون مناسب دليلاً على حسن النوايا.. على الأقل خطاب ضمان من البنك لضمان جدية العملية.

عندما وصل المزاد إلى ذلك الحد، كانت أعصابى قد وصلت إلى نقطة الانفجار فخرجت إلى الصالة ثائراً، صرخت فيهما: ما هذا الذى يحدث هنا؟.. ماذا تفعلان؟ ماذا تقولان..؟ هل أنا كنبة؟.. مقعد؟.. مصنع؟ قطعة أرض؟.. قالب طوب؟.. أليس لى رأى فيما يحدث؟ قلت ذلك ثم التفت إلى إيڤا وقلت لها بلهجة باردة: إيڤا.. اسمعينى جيداً.. لقد فكرت فيما عرضته على وقرارى الأخير هو الرفض.. لن اتزوجك ياسيدتى.. ولن أعمل معك.

إيڤا: لماذا؟

فصرخت: من غير لماذا؟.. لست مستعدا لمناقشة هذا الموضوع.

وهنا قالت زوجتي بغضب: هل هذه طريقة تتحدث بها مع سيدة محترمة تزورك في بيتك؟.. هل من السلوك المهذب أن تصرخ في وجه سيدة لم تسئ إليك؟.. هل هي أذنبت أو أجرمت عندما تنازلت وطلبت الزواج منك؟ من تظن نفسك؟

• لست أظن نفسي أي شئ.. ولكن من حقي أن أتزوج من أشاء وأن أرفض الزواج ممن أشاء.

– ولماذا لا تعلن ذلك بشكل هادئ ومهذب؟ هل تريد أن تعطيها صورة مشوهة عن مثقفي العالم الثالث مما يدفع الغرب لمعاداتنا وضربنا.. ألا يكفيك ما حدث للعراق وما يحدث لليبيا.. هل يسعدك الوضع في الصومال والسودان؟.. أنت مسئول ككاتب ومثقف ومواطن تجاه بلدك ومواطنيك.. لا مؤخذة يا إيڤا يا حبيبتي.. لا تغضبي منه.. هو عادة يثور هكذا، ولكنه في النهاية -كأي رجل- سيرضخ لنا ويحترم مطالبنا.

• نعم.. أرضخ لكما واحترم مطالبكما؟

أحسست بالدماء تغلي في عروقي، توقفت الكلمات في حلقي، التفت وفتحت باب الشقة وخرجت.

صاحتا: إلى أين؟

أجبت: إلى الجحيم.

أجابتا في صوت واحد: نتمنى لك قضاء وقت طيب هناك.



خرجت من البيت وأنا أكاد أشتعل غضباً، صحيح إيڤا قادرة على أن تطوى أى رجل وأن تحوله إلى خاتم فى إصبعها، ولكن كيف استطاعت الاستيلاء على عقل زوجتى؟

أمام المنزل كانت هناك سيارتان فاخرتان، الأولى بها سكرتيرة إيڤا الخاصة، عندما شاهدتنى فتحت باب السيارة ومدت يدها وسحبتنى للداخل وانطلقت السيارة. لزمت الصمت، بعد دقائق كانت السيارة تقف أمام فندق فخم، اتضح أن إيڤا كانت قد حجزت لى جناحاً ملحقاً بجناحها الخاص. قالت لى السكرتيرة: الأوامر عندى الا تغادر هذا الجناح إلى أن تأتى السيدة إيڤا.

– اسمعى ياسيدتى.. أنا هنا فى بلدى.. وأستطيع أن أفعل بك وبسيدتك ما لا تتخيلانه.

• لا داعى للمغامرة أو الحماقة، لم يتعرض لك أحد –حتى الآن– بالأذى..

– هل هذا تهديد؟

• سمِّه ما شئت، أنا أنفذ الأوامر، سيدتى ستأتى بعد دقائق.. تفاهم معها.

قالت ذلك وأغلقت الباب خلفها فى هدوء وخرجت، ألقيت نظرة

سريعة على الجناح الفاخر، كان الباب المؤدى إلى جناح إيڤا مفتوحاً، دخلت بهدوء، استولى على خاطر خبيث بأن أفتش فى أوراقها لعلى أعثر على أى شئ يكشف لى عن هدفها الحقيقى من رغبتها فى الزواج منى، لحسن الحظ وجدت حقيبتها السمسونايت مفتوحة. أخذت أتصفح بسرعة الأوراق الموجودة بها، فجأة وجدت ما أبحث عنه، كانت هناك قصاصة صغيرة من الورق مقطوعة بعناية من صحيفة مصرية، كان خبرا يقول أن العاملين في أحدى الوزارات قد تمكنوا من صنع جهاز جديد يقوم بتحويل الزبالة إلى بترول بكل مشتقاته في عشرين دقيقة. كانت القصاصة ملصقة على تقرير مكتوب باللغة الإنجليزية. حرصت على معرفة الجهة الصادر عنها التقرير، كان صادراً عن مكتب "العدوان على دول الشرق ومنعها من التقدم" وهذا هو ملخص التقرير.

"لما كانت دول الشرق الأوسط أفضل منا بكثير، ولما كان العلم لديها متقدماً لدرجة لا يمكن لنا أن ندانيها، لذلك علينا القضاء على هذه الدول والاستيلاء على ثروتها، وهذا الخبر المرفق المنشور عن ذلك الاختراع الجديد يهدد الحضارة الغربية. لأن كمية الزبالة لديهم أكبر ملايين المرات من كل احتياطى البترول فى كل آبار العالم، فإذا أتيحت لهم الفرصة لاستغلال هذا الاختراع فمن المؤكد أنهم سيدمرون اقتصاد الغرب ويقضون على حضارته. لذلك لابد من الحصول على هذا الاختراع بأى ثمن وتصفية مخترعيه جسديا إذا لم نتمكن من تحييدهم أو تجنيدهم. ويرى

خبراء الإدارة أن هذا الاختراع ليس هو الوحيد الذى توصلوا إليه، وأن هناك اختراعات أخرى لم يعلنوا عنها. فلدينا من الدلائل ما يشير إلى أن علماءهم تمكنوا من اكتشاف وسائل لتحويل طين البرك والمستنقعات إلى عسل نحل، وأنهم توصلوا لاكتشاف مواد كيمائية رخيصة يرشونها على مياه البرك والمستنقعات فيحولونها إلى كولونيا من نوع راق. كما أبلغتنا مصادرنا أنهم على وشك اكتشاف صيغة كلمات سحرية عندما يسمعها الجاهل يتحول فى عدة ثوان إلى عالم، بل لعلهم قد وصلوا إلى هذا الاختراع فعلا، الأمر الذى يفسر كثرة عدد العلماء المفاجئ عندهم الآن. ونحن نتابع هذه الأبحاث بدقة بواسطة عملائنا فى المنطقة، كما نتابع أبحاثهم فى علم الهندسة الوراثية التى قطعوا فيها شوطا بعيداً. تقول مصادرنا أنهم تمكنوا من تحويل الفراخ إلى أبقار بحجم الاتوبيسات، واستطاعوا تحويل التراب إلى علف والزلط إلى كمثرى. كما استطاعوا زراعة نوع من البطاطس الواحدة وزنها طناً.

إن ميزانية الإدارة لا تكفى للتدخل والقضاء على هذه الأبحاث، لذلك طلبنا من شركات البترول العالمية التبرع بالأموال اللازمة لعملياتنا للقضاء على هذه الأبحاث، بعد أن أوضحنا لهم خطورة الموقف، فتحويل الزبالة إلى بترول سيحولهم جميعاً فى لحظة إلى متسولين، فدفعوا خمسة مليارات من الدولارات كدفعة أولى.

هذا هو ملخص التقرير، من الواضح أنه صادر من إدارة

تابعة للمخابرات الأمريكية بالتعاون مع مخابرات بقية دول الغرب. ملحق بالتقرير خطاب موجه لمن يسمى "ضابط الحالة" من الواضح أن المقصود هو السيدة إيفا. الخطاب يقول "كل العمليات التى كلفت بها من قبل لا أهمية لها بجوار عمليتك الجديدة، أن مستقبل الغرب كله وحضارته مهددان بالدمار فى حالة فشلك، مسموح باستخدام كل الوسائل لمنع دول الشرق من استغلال هذه المخترعات القاتلة، والميزانية مفتوحة، وتستطيعين الحصول على كل المساعدات المطلوبة من الوحدة ١٥ج، ١٧د، ١٩س، وأى وحدات أخرى. المطلوب هو الحصول على الرسومات الهندسية التفصيلية وأوراق الأبحاث الخاصة بما سبق ذكره أو تدميرها جميعا وتدمير العاملين فيها والمسئولين عنها بأسرع وقت ممكن".

هذه هى المسألة إذن، لا حب ولا زواج ولا يحزنون، تمثيلية كبيرة انطلت على وفخ كبير وقعت فيه. السيدة إيفا تعمل لحساب المخابرات الغربية وهى مكلفة بالقضاء على التقدم التكنولوجى للشرق لكى نظل عبيدا لهم إلى الأبد. لقد كنت لا أصدق من قبل أننا مستهدفون من الغرب ولكن هذا هو الدليل فى يدى الآن. ولكن هل هذه هى المرة الأولى التى يتقدمون فيها للقضاء على مصادر ثروتنا وقوتنا؟

بالطبع هم يعملون منذ زمن بعيد، هذا هو السر إذن فى إنتشار التخلف والجهل والمرض واللصوصية والفساد الإدارى. كلما اخترعنا اختراعا جديدا لنا وللبشرية أرسلوا عملاءهم للقضاء عليه وعلى من اخترعوه، والآن ها هم على وشك أن

يحرمونا من أعظم اختراعاتنا، تحويل الزبالة إلى بترول بكل مشتقاته فى عشرين دقيقة، هل تتخيل وضعنا الاقتصادى على خريطة الأرض بعد نجاح هذا المشروع؟

من المؤكد أن كيلو الزبالة الواحد سيعطينا ألف برميل من البترول، تستطيع ان تحسب دخلنا من ذلك إذا حسبت كمية الزبالة عندنا، سنسدد ديوننا فى لحظة ثم ننطلق إلى المستقبل. ولكن هؤلاء الأوغاد يريدون حرماننا من ذلك، لم أتردد فى إتخاذ قرارى، سأتصل بأجهزة الأمن فوراً. وضعت التقرير والخطاب فى جيبى، وفى تلك اللحظة وأنا فى طريقى إلى الباب خارجاً من الجناح، دخلت إيڤا فجأة، نظرت إلى الحقيبة السمسونايت المفتوحة ثم نظرت فى عينى ببرود وأخرجت مسدساً من حقيبتها وقال فى هدوء: هذا المسدس كاتم للصوت، اعطنى الخطاب والتقرير وإلا قتلتك فوراً.

الوداع

نظرت فى عينيها، لم تكن هذه إيڤا التى أعرفها والتى قضيت أجمل لحظات العمر معها، تقاطيع وجهها تحولت إلى رخام أبيض خال من التعبير، عيناها باردتان وكأنما امتلأتا بالثلج. كانت تمسك بالمسدس فى ثبات وتصوبه إلى وجهى.

– أنا جادة فيما أقول.. هات الأوراق من فضلك ليس لدى وقت أضيعه، يحزننى أن تخسر بلادك مبدعا مثلك، ولكنك تعرف أن عملنا لا يتحمل الهزار أو الشفقة، هات الأوراق.

لا داعى للمقاومة، هى تستطيع فعلاً أن تقتلنى بمسدسها المزود بكاتم للصوت وتحصل على المستندات ثم تغادر البلاد بطائرتها بسرعة وهدوء. لن يعرف مخلوق بتفاصيل ما حدث. ولكن صوتا بداخلى كان يهمس لى أن أحاول كسب الوقت، فقلت لها وأنا أجلس على مقعد وثير فى الغرفة متصنعا الاستسلام والانهيار: حسنا يا إيڤا، سأعطيك الأوراق، فلا مفر من ذلك، ولكن اسمحى لى أن أعبر عن حزنى الشديد وفجيعتى فيك.. كنت اتصور أنك تحبيننى.

– لست مسئولة عن تصوراتك الغبية.

• حسناً يا إيڤا.. تصوراتى غبية، ولكن صدقينى، أنا أحبك فعلاً.. وأنا على استعداد للتضحية بكل زبالتنا من أجلك.. أنا

مستعد لإرشادك على كل مواقع الزبالة بل أنا مستعد للمشاركة فى تهريبها للغرب فتحولونها إلى بترول.

- لسنا فى حاجة لخدماتك.. هات الأوراق.

• لا تعطيها شيئاً يا سيد على.

هل أنا أحلم؟ هذا الصوت أعرفه جيداً، نظرت إيڤا ورائى وأطلقت صرخة خافتة: الشبح؟

خلفى تماماً كان يقف صديقى الشبح، هل تذكرونه؟ رجل الأمن السابق الذى أفتتح أول مكتب للتحريات السرية فى مصر والذى انقطعت اخباره عنى منذ وقت طويل، قال: نعم يا إيڤا.. أنا الشبح، ألم أحذرك من قبل، ألم أطلب منك أن تبتعدى عن ثروات المنطقة؟.. ألم أطلب منك ان تكفى عن محاولة تدمير حضارتنا ضعى المسدس على هذه الطاولة ياسيدتى فأنت طبعا ذكية بما فيه الكفاية لكى تعرفى أن الفندق محاصر وأن رجالى ينتظرون خارج الغرفة.

وضعت إيڤا المسدس على الطاولة باستسلام وانكسار فالتقطه الشبح بهدوء: مسدس جميل..

قالت فى سخط: هذا هو المسدس الثالث الذى تأخذه منى.

قلت مندهشاً: من الواضح أنكما تعرفان بعضكما البعض من فترة طويلة.

رد الشبح بابتسامة: طبعاً، لنا صولات وجولات كثيرة.. وفى كل مرة كنت أنتصر عليها.

جلست إيڤا فى انهيار وقالت بتعاسة: ماذا ستفعلون بى؟.. هل تسمح لى بالتدخين؟

- اتفضلى.. ياسيدتى ولكنى أحذرك من أن تلجئى للألاعيب.

ردت إيڤا بحزن: وهل بقيت فرصة للألاعيب، لقد وقعت وانتهى الأمر.

من الغريب أننى شعرت فى تلك الحظة ببعض العطف عليها، بيد مرتعشة أخرجت إيڤا سيجارة من علبة سجائرها وأشعلتها بولاعة أنيقة. فى تلك اللحظة مد الشبح يده بسرعة البرق ليأخذ منها الولاعة، كانت قد تمكنت من إشعال السيجارة، فحص الشبح الولاعة ثم قال بهدوء: آخر ولاعة صادرتها منك منذ عدة سنوات، كانت تحتوى على كبسولة مخدر تكفى لتخدير فيل.. ترى ماذا فى هذه الولاعة؟

أجابت إيڤا وهى تضحك بثقة: هذه الولاعة مزودة بجهاز لمسح المستندات المكتوبة بحبر طباعة معين، عندما تضغط على هذا الزرار تختفى السطور المكتوبة وتتحول المستندات إلى ورق أبيض، أخرجت بسرعة المستندات من جيبى، كانت كلها بيضاء بالفعل ماعدا قصاصة الورق المقطوعة من الجريدة المصرية، لا يوجد الآن دليل واحد يثبت أنها جاءت للاستيلاء على مشروع الزبالة.

ابتسم الشبح وقال: ولو.. على الأقل توجد التسجيلات، يوجد جهاز تسجيل فى جيبى وتوجد أجهزة تسجيلات فى الغرفة.

انفجرت إيڤا ضاحكة: لا تحلم يا شبح بالانتصار على تكنولوجيا الغرب.. نفس الزرار فى الولاعة الذى يمسح حروف الطباعة، يمسح فى الوقت نفسه أشرطة التسجيل فى محيط قطره خمسة أميال.

أسقط فى يد الشبح، كانت إحدى المرات القليلة التى يهزم فيها أو لعلها المرة الوحيدة فى حياته: حسناً يا إيڤا.. لقد أفلت من يدى هذه المرة، ولكنى أؤكد لك أننى سأحصل يوماً على الدليل الذى يثبت محاولاتك التخريبية لتدمير ثروات الشرق، والآن، حان الوقت لكى تنتهى هذه المهزلة.. تحياتى ياسيدتى.

سحبنى الشبح من يدى وخرج بى من الغرفة. سافرت إيڤا بعد ذلك بساعتين بعد أن أخذت الجهات المسئولة عليها تعهدا بعدم التدخل فى شئون المنطقة الداخلية. بعد أسبوع أرسلت لها تحويلا بنكياً بكل المبالغ التى كانت قد أرسلتها لأسرتى، الواقع إننى اضطررت لبيع كل ممتلكاتى لكى أتمكن من أن أرد لها المبالغ التى دفعتها.

فى الطريق إلى منزل الشبح بدأ يقص علىَّ القصة من البداية، قال لى: إيڤا واحدة من أخطر عناصر أجهزة المخابرات الغربية، ونحن نتابع علاقتك بها منذ لحظة أول لقاء بينكما، لحمايتك من أن تتورط فى أى شئ خطر، لذلك اخترعنا حكاية الزبالة التى تتحول إلى بترول بكل مشتقاته لكى نغريها بالحضور إلى مصر.

- ماذا تقصد؟.. هل هذا مشروع وهمى؟ لقد نشرته صحيفة مصرية فعلاً.

• وهل تتصـور أننا بلهاء لكى نصدق أن تتحـول الزبالة إلى بترول؟ لقد نشرنا الخبر فى مكان بارز ونحن على يقين أن أجهزة الغرب ستصدق ذلك، لأن عقولهم جادة ولا يتصورون أننا ننشر فى جرائدنا أخبارا عن مشاريع وهمية.. هم يتصورن أن كل ما ننشره حقيقى.. ووقعوا فى الفخ، أرسلوا إيڤا للحصول على تصميمات ذلك المشروع الأبله.. إنها معركة ذكاء بيننا وبينهم كما تعرف.

– ومن انتصر على الثانى هذه المرة؟

• نحن طبعاً.. فقد أثبتنا لهم أننا أكثر منهم ذكاءً وذلك بأن جعلناهم يصدقون خبراً يتسم بالبلاهة.

– ولكن الخبر المنشور خطر، فقد يتصور الناس أنه حقيقى.

وهنا ضحك الشبح وقال: البلهاء وحدهم هم الذين سيتصورون ذلك، وبالطبع نحن لا نقيم لهم وزنا.. ومع ذلك، الناس بشكل عام لن يصدقوا ذلك، لأنهم مدربون على عدم تصديق ما تنشره الجرائد، ألا تعرف التعبير الذى يقول.. كلام جرائد؟

وهكذا انتهت قصتى مع إيڤا، لم يحدث زواج بيننا، كان مجرد مشروع لم يتم. هذه هى القصة الحقيقية أنشرها بكل تفاصيلها ردا على جرائد الغرب وبعض الجرائد العربية التى زعمت أننى تزوجتها. لست أعرف شيئاً عما تفعله السيدة إيڤا ترامب الآن، كل ما أعرفه أنها تركت فى قلبى جرحاً لا يندمل.

هذه الحكاية

■ تنتمى هذه الحكايـة لأدب الاعترافـات الشجاعة ، ففي جرأة نادرة رسم المؤلف بقلمه الضاحك قصة المواجهة بين الشرق والغرب من خلال قصة حب تكاد تكون مستحيلة بين مؤلف مسرحى مصرى ومليارديرة أمريكية حسناء .

ليس مهمـاً التعـرف على مساحـة الحقيقة أو الخيـال فى هـذه الحكايـة ، فمن المعروف أن أعمال على سالم تختلط فيها الحدود بين الواقع والخيال بحيث يصعب التمييز بينهما . فالخيال عنده يستند إلى أسس واقعية كما أن الواقع فى أعماله لا يخلو من خيال .

الناشـر

Design : Kamel Graphics